فلسفة الأدب

عند اليونان

قراء فى رائعتى هوميروس..الإلياذة والأوذيسة

المؤلف دكتور / محمد ممدوح



إصدارات دار االفراعنة للطباعة والنشر والتوزيع

اسم الكتـــاب: فلسفة الأدب عند اليونان – **كتاب**

اسم المؤلف:دكتور/محمدممدوح

رقم الايداع: **٥٨٢١. /٢٠١٨**

الترقيم الدولى: 978-977-91-0031- 0

المراسلات:

دار االفراعة للطباعة والنشر والتوزيع

٣٣ المدينة المنورة فيصل الجيزة

موبايل:٠١٠٠٦١٤١٦٤٥   ت: ٣٩٧٦٩١٧٦

إهداء

إلى صديق العمر

وعشق الروح ومنى الفؤاد

أيمن عبدالله شندى...

مُنية القلب وقلب المُنى

محمد ممدوح

وكم فى الكون من آيات..ما يعقلها إلا العالمون...

مقدمة

ارتبطت الفلسفة بالأدب عند اليونان ارتباطًا وثيقًا وكان هذا الإرتباط أهم عوام ل خلود الفلسفة اليونانية على مر العصور ([1]) فقد أضفى عليه هوميروس وهزيود وآرستوفانيس وأفلاطون من روائع فنهم وجليل فكرهم ما أسدوا به جليل العمل للأجيال اللاحقة عليهم ، وكان لهوميروس النصيب الأكبر من هذا الثراء الأدبى المعرفى حيث يشبهه أحد النقاد بأنه الشمس الغازية التى تبقى عظمتها دون عنف وبلا ضجيج ([2]) ، حيث ساهم هوميروس إلى حدٍ كبير فى إرساء أسس الأدب اليونانى ، كثيرًا ما رجع إليه اليونانيون كمثل يحتذ ونه وإلهام يستوحون ، إنه أبو المأساة والملهاة ، وعلى الرغم من أن أحدًا لم يستط ع أن يكرر الطريقة التى كتب بها هوميروس ملحمتيه فإن الشعراء الآخرين تعلموا منه كيف يصوغون مادتهم ويتصَّرفون فى لغتهم ، كما تعلموا منه أيضًا الإقتصاد فى التصوير والتجربة ، والذى يثير عجبنا من إمكان قول مثل هذه الأشياء الكثيرة فى مثل هذه الكلمات القليلة، ولقد تفرد هوميروس بقدرته على تصوير قطاع عريض من الخلق الأدبى ، وهذه القدرة لم يشاركه فيها أحد من الذين خلفوه فى فن الملاحم([3]).

---

[1]) Guthrie (W.K.C) : A History of Greek philosophy, vol 1, Cambridge University press, Cambridge, 1999,vol 1,p38.

[2]) COX: (G.W) : An Introduction to Mythology and Folklore, London 1981,p.103.

[3]) د. محمد صقر خفاجة ، د. عبد اللطيف أحمد على ، أساطير اليونان ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، سنة ١٩٥٩م، ص٦٣.

ويميز باورا بين الفن اليونانى بصفة خاصة وغيره من الروائع فى ذات الفن بقوله : " نجد أن الأدب اليونانى يفتقر إلى كثير من المظاهر الشائعة فى الأدب الإنجليزى والإيطالى ، بل وحتى فى الأدب اللاتينى أيضًا فهو يفتقر إلى الفخامة الغامضة وإلى السعى وراء الأهداف غير المحددة مما يعتبر ماء الحياة بالنسبة للرومانتيكية ، إن ملاحم الأدب اليونانى ومسرحياته تبدو بسيطة ، بل وعاطلة من كل زينة ، عندما نضعها إلى جوار بدائع " أريوستو" الناضحة بالفخامة أو حياة شكسبير الحافلة "([٤]).

ويأخذ "ألبير كوك" على هوميروس تصويره للآله فى وضع لا يليق أبدًا بها بصفة خاصة ، وبهزلية مقيته فى أدبه عامة ([٥]) ، إلا أن باور يفسر تلك الهزلية الهوميرية بأن مقصدها إثارة الضحك لا أكثر فيقول : " وعلاقات زيوس الغرامية تروى بوقار أجوف مضحك ، وتُعد أنواع اللهو الإلهى هذه ترويحًا هزليًا يختص به الفن الخالص ، فلم يكن هوميروس متزمتًا فى تدينه ، ولذا كان يستطيع أن يسخر من الآلهة ، فهم بعيدون عن أنواع القلق الذى ينتاب الإنسان ، ولكنهم بعيدون أيضًا عن لحظات جهاده وجلاله ، فليس فى عالمهم بطولة ، ومن ثمَّ فلا حاجة بنا إلى أن نلتزم حيالهم الوقار والجلال"([٦]).

ولكن هذه النظرة إلى حدٍ كبير متعننة ، حيث أن نظرة الأوذيسا للآلهة قد تعدلت كثيرًا عن تلك التى بالإلياذة ، فالآلهة تجير المظلومين وتعين على نوائب الدهر وتحيط بكل شئ علمًا ، من ذلك قول تليماك ، الإبن المخلص للأب المجاهد العظيم أوديسيوس ، لعشاق والدته بعد

---

[٤]) س.م. باورا ، المرجع السابق ، صـ٥.

[٥]) COOK (A.B) : Zeus, A study In Ancient Religion, Cambridge, vol 1, 1914, p.17.

[٦]) س.م . باورا ، المرجع السابق ، ص١٥.

أن أضناه التعب فى طردهم دون جدوى : " أما إن رأيتم أنه أحلى لكم أن تأكلوا مال غيركم فإنى سأهتف أبدًا بالآلهة أن تقتص لى منكم ، فهى محيطة بكم "([7]) ثم صرخ مرة أخرى ، الآلهة بينى وبينكم ، والإغريق أجمع أعلم بأمرى وأمركم" ([8]).

ومهما يكن الأمر فإن الفكر الفلسفى فى اليونان القديمة نبع من داخل الأسطورة ذاتها وشُيد له البنيان بجذور ميثولوجية ، فالأسطورة كانت بمثابة بناء قيمى قُصد به تكوين وعى معين ، إنها تُضفى معانى عميقة للوجود الإنسانى ([9]) ، بل إنها تُعد بداية الوعى الحقيقى فى بدايات الفلسفة اليونانية ، يقول إيفاجيليوس موتسوبولوس([10]) ما نصه : " والجدير بالذكر فى الفكر الفلسفى اليونانى أنه بالرغم من خضوع الأسطورة فى البداية لروابط دينية وسحرية ، وبالرغم من تجسد ذلك فى علاقات محددة ثابتة إلا أنها تتحرر شيئًا فشيئًا حتى عصر أفلاطون لتنزلق مرة أخرى وتتخذ صورة أكثر قدمًا وبدائية من الناحية الشكلية ، فتصبح اجتماعية وذهنية بوجه عام من الناحية العملية ، وأفلاطون على سبيل المثال يصدق ولا يصدق فى الأساطير ، وإن كان هو نفسه ينسجها بمهارة فائقة ، واللاحقون عليه سوف يطورون هذا النسيج الأدبى الرائع – خاصة طيماوس – ليصبح بعد ذلك من النصوص الموقرة "([11]) ،

---

٧) هوميروس : الأوذيسة ، ترجمة درينى خشبة ، دار الكتب الأهلية ، القاهرة ، ١٩٤٥م ، صـ٢٠.

٨) المصدر نفسه ، صـ٢٢.

٩) Toynbee : op.Cit.p.63

١٠) هو فيلسوف يونانى عُرف بفيلسوف "الوقت" ، ولد فى آثينا ١٩٣٠م ، واشتهر كموسيقى عالمى.

[11]) إيفاجيلوس موتسوبولوس : من الأسطورة إلى المنطق بدايات الفلسفة اليونانية وبنيتها ، ترجمة ودراسة د.هدى الخولى ، دار الثقافة العربية ، القاهرة ، سنة ٢٠٠٣م ، ص٦٥.

أضف على ذلك ما تضيفه الأساطير اليونانية من قيمة فنية ضخمة لدارس الإغر يقيات ، وما تذخر به من عنصر الخيال الذى يستطيع بما يحويه من ثراء وجمال أن يمارس تأثيره على المشاعر الإنسانية فى كل عصر وحين ([١٢])، كما تعتبر د . هدى الخولى – الأساطير اليونانية خلفية للفكر الإنسانى وليس اليونانى فقط فتقول فى مقدمة ترجمتها لكتاب" من الأسطورة إلى المنطق " ما نصه : " يبدأ المؤلف بالتراجيديا اليونانية مقدمًا ملاحم هوميروس كنموذج قائم على الأسطورة التى كانت بمثابة خلفية للفكر العام ، ليس لليونانيين فقط ولكن للإنسانية ككل ، فجغرافيا الأوذيسة ونظرية النفس عند هوميروس ونظريات إيسيوذوس فى الإنطولوجيا وفى الألوهية والأخلاق كانت من الركائز الأساسية لنشأة الفلسفة اليونانية " ([١٣])

وعلى الرغم من أن هذه الرؤى جميعها تؤكد أن الأساطير كانت بداية للفلسفة اليونانية إلا أن الباحث يرى رأيًا أبعد من ذلك ، حيث يعتبر أن الأساطير فى حدَّ ذاتها كانت تمثل آراءًا فلسفية عظيمة تأثر بها الفلاسفة من بعد ، مثل أفلاطون الذى تأثر بالأساطير الهوميرية فلسفة وأسلوبًا ، حيث تظهر فى فلسفته رؤى ذات جذور هوميرية مثل فكرة السلام التى بين أيدينا ، وعلى مستوى الأسلوب فقد تأثر إلى حدٍ بعيد ، لدرجة أنه ذكر بعض أساطير على غرار القص الهوميرى ، من ذلك أسطورة الجنادب([١٤]) وأسطورة آر([١٥]) ، تلك التى يحكى فيها

---

[١٢]) د. عبد المعطى شعراوى : أساطير إغريقية ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ١٩٨٢ م، ص٥.

[١٣]) إيفاجيلوس موتسوبولوس : المرجع السابق ، المقدمة .صـ١١.

[١٤]) أفلاطون : محاورة فايدروس ، ترجمة د.أميرة حلمى مطر ، دار الثقافة ، القاهرة ، د.ت ، فقرة رقم ٢٥٩.

خلود النفس ، بل إنه خص هوميروس دون كتاب الأساطير بالإعجاب والنقد فى آنٍ واحد ، حيث لم يرتض الأسلوب المشين الذى صوّر به هوميروس الآلهة فقال : " إن القاعدة الثابتة التى يجب أن نلتزمها فيما نقوله أو نكتبه عن الأمور الآلهية هى ألا نصور الآلهة على أنها شجرة تبدل من صورها أو تخدع البشر على أى نحو ، وعلى ذلك فعلى الرغم من اطرائنا لهوميروس فى أمور كثيرة فهناك أمور لا نقره عليها ، منها الحلم الذى بعثه زيوس فى نفس أجاممنون"([16]).

ففى هذا النص يؤكد أفلاطون طربه لهوميروس ، ولكنه يعارضه فى وجهة نظر معينة ، إنه التصور المنقوص والمشين للآلهة ، ومن ثمّ وجه أفلاطون الرجاء لهوميروس بصورة مجازية – ألا يغضب إذا ما اعترض على رؤيته وفنه فيقول : " وعلينا أن نرجو هوميروس وغيره من الشعراء ألا يغضبوا إذا استبعدنا تلك الأقوال وما شاكلها ، لا لأنها تفتقر إلى الجمال الشعرى أو لأنها لا تلقى منا آذانًا صاغية ، وإنما لأنها كلما ازدادت إيغالاً فى الطابع الشعرى قلت صلاحيتها لأسماع الأطفال الرجال الذين نريدهم أن يحيوا أحرارًا ، ويخشون الأسر أكثر مما يرهبون الموت" ([17]).

وعلى ذلك فإن أفلاطون يبدو متأثرًا فلسفيًا ، بل وحتى أدبيًا بهوميروس ، فأسلوب المحاورات كان ذا صبغة أدبية على طراز فن هوميروس وإن لم يشاكله فى الجنس إلا أنه شابهه فى النوع ، يقول باورا : " ولم يكتب أفلاطون مقالات أو أبحاثًا ، وإنما كتب محاورات ،

---

[15]) أفلاطون : محاورة الجمهورية ، ترجمة د. فؤاد زكريا ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، سنة ١٩٨٦م ، فقرة رقم ٦١٣ وما بعدها.

[16]) المرجع السابق فقرة رقم ٣٨٣ ، صـ٢٤٨،

[17]) المرجع نفسه ، فقرة ٣٨٧ ، ص٢٥١.

وكان للشكل الذى اختاره أصوله فى التمثيليات الصامتة الدارجة فى صقلية ، ولكنه هو الذى ابتدع تطبيقها على الفلسفة" ([18]).

يمكننا القول إذن بوجود علاقة وطيدة بين الفلسفة والأدب تركت عميق الأثر على مفكر يونانى بحجم أفلاطون ، بل ويمكننا القول أيضًا أن تلك الروائع الأدبية حوت بداخلها كنوزًا فلسفية وزخمًا فكريًا ظل مختلفًا حوله إلى يومنا هذا ([19]) بل إن الباحث يطمئن إلى وجود نزعات فلسفية قوية وأفكار فلسفية قدم هوميروس عليها الدلائل فى صورة القصّ الأدبى ، تصبح تلك الأفكار أشجارًا باسقة ذات طلعُ نضيد فى مذاهب فلسفية واضحة المعالم فيما بعد.

---

[18]) بارروا : المرجع السابق ، صـ١١٤.

[19]) من ذلك مثلاً الإختلاف حول وجود فلسفة أم لا فى تلك الأساطير ، ومن ناحية أخرى الإختلاف حول بعض الوقائع التاريخية ذاتها مثل معركة طروادة ، هلى هى حقيقة ، أم خيال ؟ ثم ما هى الأسباب الدافعة لها ، جوثرى يذهب إلى أن الأسباب كانت صراعات توسعية إستيطانية ، فى حين أن الأهوانى يذهب إلى أن النزاع بين الشرق والغرب هو السبب الحقيقى ، حيث لم تنقطع الحروب والغزوات بين اليونان وجيرانها فى الشرق القريب فى آسيا الصغرى ، بل لقد امتدت الحرب إلى الفرس ، واتخذ الصراع صورًا شتى فى خلال التاريخ بين الفرس والروم . انظر د . الأهوانى ، المرجع السابق ، صـ ٢٤-٢٥ فى حين أن هوميروس ذاته يذكر أن سبب تلك الحرب اختطاف باريس لهيلين ملكة إسبرطة وجميلتها وهو ما استنفر الهيلينيين ضد الطرواديين. انظر هوميروس الإلياذة ، صـ١٨.

الفصل الأول

حرب طروادة بين التقديس والتدنيس...

قراءة فى إلياذة هوميروس

الإلياذة هى أولى روائع هوميروس ، شاعر الخلود وإمام المبدعين ، العازف على أوتار القلوب بما تحب القلوب ، وبما تهوى الأنفس وتعشق الأفئدة ، ينسج ببراعة خيطه السحرى ، ويشد بمهارة أوتار قيثارته الرنانة ليستلب القلوب ، وليقص علينا من أنباء خياله الخصب عجبًا.

لقد عشق كبير الآلهة ، زيوس العظيم ، الجميلة ذيتيس ، ابنة رب الأعماق ، ساحرة الجمال والمنظر ، وهى أيضًا تبادله حبًا بحب ، فكم تطمع فى أن تكون زوجة لكبير الآلهة ، ولكن زيوس قبل أن يقدم على الزواج منها يستشير ربة الأقدار فى شأن هذا الزواج ، فتخبره بما لابد منه ، إن ذيتيس ستلد غلامًا يقتل أباه ويستولى على العرش.

يا لها من نبوءة صادمة ، جعلت زيوس يصد عن تلك الزيجة صدودًا ، فلأن يضحى بحبه خير له من أن يضحى بعمره ، فترك ذيتيس لتتزوج من ملك فيتيا الذى كان يعشقها هو الآخر ، ويعد النجوم فى حبها ويغزل النسيج فى هواها، إلا أن ذيتيس رفضت الأمر الإلهى ، فأنىَّ لها بالزواج من بشرى هالك ، وهى ابنة رب الأعماق ، فلَّما علم زيوس برفضها ذهب إليها وترَّضاها لعلها ترضى ، وبعد طول مفاوضات قبلت الزواج على أن يحضر حفل زفافها موكب الآلهة وعلى رأسهم كبير الآلهة جوف الأعظم.

ويقبل زيوس بهذا الشرط ، ويحين الزفاف ، وتضاء السُرُج ، ويرقص الراقصون ويغنى المنشدون فى حضور بهيج تزينه آلهة السماء جميعًا ، وبينما هم فى الحفل مسرورين إذ دخلت عليهم الربة "إيريس" ربة النزاع ، فتوجس منها الآلهة خيفة ، إلا أنها جلست مجلسها ، وحدَّقت فيهم عيناها وكأنها تتوعدهم ، ثم تركت تفاحة ذهبية كبيرة كُتب عليها كلمة "للأجمل" .

ويأخذنا هوميروس إلى جانب آخر ، حيث يولد للملك "بريام" ملك طروادة غلام من زوجته الملكة "هكيوبا" ويأخذ الملك الغلام الصغير ويذهب به إلى معبد أبوللو مستنبئًا الآلهة

عما يكون من شأنه كعادة الأسلاف ، وتنبئه الكاهنة بأن هذا الغلام سيكون سببًا فى تشريد وخراب مدينته وهلاك أهله جميعًا ، ويتشاور الأب والأم فيما يكون من مصير ، وماذا عليهم أن يفعلوا ، فيهديهم تفكيرهم إلى ترك الصغير على سفح الجبل لعل طيرًا جارحًا يأخذه ، أو وحشًا ضاريًا يطعمه ، ولكن القضاء يتدخل كعادته ليوجد المخرج حين لا مخرج ، وليُسدى الحل حين لا حل ، إذ يجده راعى غنم ، فيأخذه فرحًا ، يا بشرى هذا غلام ، وأسرّهُ بضاعة ، وأسبغ عليه الرعاية والنعمة حتى صار شابًا جلدً ا قويًا ، يأخذ غنمه ليرعاها بالنهار وسط السفوح الخضراء والأشجار الباسقة والظل المقيم ، ويعود ليلاً إلى مأواه ، وهكذا صار صديقًا للطبيعة ، يحب مروجها ، ويتنعم بأطيافها ، لا تتعدى حدود معرفته تلك الصحارى الصفراء التى يكتسى بعضها بالخضرة الجميلة ، ولم يكن له من صديق سوى بعض الرعاة الأجلاف الذين أضفت عليهم الطبيعة من جفوتها وقسوتها ، ولم يكن يعرف شيئًا أكثر من أن راعى الغنم هو أبوه ، وأن ذاك القطيع ملكًا له.

وظل باريس ، الغلام المقذوف بالأمس فى وهج الصحراء ، والفتى اليافع اليوم الذى تبدو عليه سيم الملوك... فى تلك الحياة ، يعشقها ولا يتخيل له حياة سواها ، بل لقد أحب إحدى عرائس البحر وأحبته ، كان يرى سُبحة الضوء الجميل فى وجهها ، تسبح عليه آيات الجمال بحمد بارئها ، ولكن القدر يتدخل ليتغير كل شئ ، لتتنازع التفاحة مينيرفا ، ربة العدالة والحكمة ، وحيرا ملكة الأولمب وزوجة سيد الأولمب ، وفينوس ربة الجمال ، فكلاً منهم ترى أنها الأحق بالتفاحة الذهبية ، تلك التى تركتها "إيريس" فى حفل الزواج من قبل ، ويتفق الثلاثة على أن يُحكموا فيما شجر بينهم أول مار عليهم بتلك الصحراء .. وما هى إلا لحظات ويأتى باريس يشدو لأغنامه ، ليلوذ به الثلاثة... تعال أيها الراعى الجميل لتحكم بيننا .. مينيرفا تحدثه ، تجذبه بحكمتها ، كاد أن يُعطى لها التفاحة لولا تدخل حيرا ، فتجذبه بقوتها وهيبتها فكاد أن يعطيها التفاحة لولا تدخل فينوس ، وكم لفينوس من سحر لا يقاوم ، وكم

من غرائز بنفس باريس تُغذى الجمال وتعشقه ، وكم يعلم الثلاثة أيضًا من هوى باريس ، يعلمون أنه يعشق الجمال ويقدسه ، ويسير وراء غرائزه ، إن سهمًا واحدًا من عين فينوس لقادر على تغيير المعادلة تمامًا، إنها تعده بأجمل نساء العالمين زوجة له إن قضى لها بالتفاحة ، وكفى بهذا الوعد من مكانٍ فى قلب باريس ، فقضى لها بالتفاحة ، لتبدأ المعاناة ، وليجد فيها هوميروس مبررًا قويًا لحرب طروادة ، تلك التى تدور حول أحداثها ، بل وحول سنة واحدة من سنواتها ، أحداث الإلياذة بأكملها.

وتبدأ فينوس فى أولى حلقات وعودها ، فتخبر باريس بذاك السر الذى طواه القدر طويلاً ، وأخفاه الغيب كثيرًا ، أتعرف من أنت يا باريس؟

من أنا ؟!

ما هذا السؤال ؟

أنا ابن راعى الغنم ؟

ولكن فينوس تخاطب فيه العقل قائلةً .... أتظن أن قوامك الممشوق هذا ووجهك الوضّاء ذاك يكون من ذاك الراعى الفظ الغليظ ؟ .

هنا يشك باريس فى كل شئ حوله !! يتعجب حيث يتملكه العجب ، ويتساءل حين يتملكه السؤال ، فابن من أنا إذن أيتها الربة؟

أنت ابن بريام ، ملك طروادة؟!

أنا ابن ملك ؟! ألانك ربة تسخرين منى ؟

لم يكد يصدق باريس نفسه ، بل لم يكن يصدق أنه أمام ربة من ربات السماء بحق ، ولكن فينوس تتدخل لتقذف شيئًا من الطمأنينة فى روعه الحائر بلغة فيها الجدية والثقة .. " نعم أنت ابن ملك طروادة .. الآلهة لا تكذب أبدًا" ..

عليك الآن أن تعود إلى أبيك ، إلى مملكتك ، إلى طروادة ، الوطن الذى يُجنى إليه ثمرات كل شئ ، وأفاء الله عليه من كل خير وبر .. إنها لنبوءة كبرى ، أكبر من عقل وقلب راعى صغير لا يتحمل مثل تلك المفاجآت التى لا تكون إلا فى أساطير الأولين.

ويغادر باريس وطنه إلى وطنه ، وطنه الذى احتضنه صغيرًا وأواه من الوغى والذئاب ، إلى وطنه الذى لفظه صغيرًا إلى حيث الوحوش الكاسرة والطيور الجارحة ، من وطنه الذى كوَّن شخصيته وآدميته إلى وطنه الذى أراد أن يسلبه أعز حق وأعظم حق ... حق الحياة.

وداعًا أيها الوطن الذى لم أرى فيك إلا الصدق والوفاء والنقاء .. وداعًا إلى حيث المجهول .. أو ربما إلى حيث الوداع..

ويدخل باريس طروادة ، دخل المدينة على حين غفلةٍ من أهلها ، ليجد فيها متنافسين يتسابقون ويتنافسون فى الألعاب الرياضية بحضرة الملك بريام وزوجته هكيوبا ، وكأنما غمزهما سهام حبه فى قلبيهما ، فأخذ يتسابق مع المتسابقين فيبزهم ، ويتصارع مع آخرين فيصرعهم ، وهو فى كل حركاته وسكناته يُحرك قلب والديه .. يا للقدر ، ما أشبه هذا الفارس بأولادنا ، ما أشبه وجه ه ، وما أشبه عينيه ، وما أشبه ساعديه ، إنه منا ونحن منه...هكذا دارت الهواجس بعقل وقلب الملك ... ولم تكن بأقل ضراوة منه لدى الملكة ، تلك التى زادت عن الملك بتحرك القلب وانخلاع الفؤاد ، وزاد تلك المشاعر أن كاسندرا ، تلك الفتاة المباركة ابنة الملك بريام التى خلع عليها سيد الأولمب حبه لدرجة أن كاد يعبدها وهو الإله المعبود ، فوهبها القدرة على كشف الغيب والتنبؤ بما كان وما سيكون ، فكانت تخبر الناس بماضيهم وحاضرهم وتستنبئ لهم مستقبلهم وهم يتعجبون ، لقد تنبأت تلك الجميلة المباركة أن باريس هو أخوها ، إنه ذاك الغلام الصغير الذى خاف منه والديه فألقوه فوق سفوح الجبال ، إنه هو هو ، ولكنه ويالأسف سوف يجر الخراب على المدينة ، فإياكم وأن تقبلوه بينكم .. ولكن أنىَّ لهم بسماع كلامها ، إنها على ما بلغته من صدق فى النبؤة ،

إلا أنها بلغت ذات الدرجة فى تكذيب الناس لها واستهزائه م بها ، ذلك أن سيد الأولمب حين رجاها أن تقبله زوجًا لها وتعيش فى رحاب الآلهة وتغادر إلى الأبد صفتها البشرية ، تسير فوق الشمس ، وتمشى فوق كواكب السماء ، وتمنح العالمين عطفها وبرها، ولكنها ما كانت تزداد أمام تلك الوعود إلا صدودًا ، فغضب عليها أبوللو وسلط علي ها سخرية سامعيها ، فما تتنبأ بشئ إلا ويسخر الناس منها ، وهكذا لم تجد نبوءاتها رغم صدقها آذانًا صاغية.

إنه طالما أن القدر أنقذ ابننا ، طالما أنه عفا عنا وغفر لنا خطيئتنا تلك فمن العار أن نخطئ تارة أخرى وقد فضح القدر ما سترناه ، وكشف للجميع عما طويناه .. ولدى .. باريس ، يا للقلب يا ولدى من لوعة الفراق ، يا للفؤاد من حُرقة الشوق.

نام باريس لأول مرة فى حياته فى حضن شوق أمه أبيه، الملك بريام والملكة هكيوبا .. نام وقد بللته الدموع ، تلك التى تنهمر من مآقى الملك والملكة لتسقط على وجه باريس دفئًا وحنانًا ، إنها دموع غُمست بالندم ، واكتست بالفرح ، فرح اللقاء بعد كثير البعاد ، وفرح النوم بعد طول السُهاد..

وما هى إلا ليلة أو اثنتين يقضيهما باريس فوق ريش النعام ، فى أبهة الملك وعظمة المملكة ، ليسأل عن عمته الأيم "هسيونيا" ، ليقص عليه والده من نبأ الأسر وزواج عمته من أحد الإسبرطيين وبقاءها هناك ، وهنا يجدها باريس الفرصة الكبرى التى يتوجب عليه استغلالها ، فيبحر مستئذنًا والديه إلى اسبرطه ، بحجة الإتيان بعمته الأيم ، وللقلب ما طوى من أسرار ، فليبحر للقاء الوعود والورود ، بحثًا عن إتمام وعد فينوس ، لهثًا خلف أجمل نساء العالمين .. هيلين .. تلك التى ما طلعت الشمس ولا غربت على أجمل منها ، تلك التى تنافس بجمالها ربة الجمال ذاتها ، فهى الجمال ذاته فى صورة آدمىّ ، وقد رفضت جميع الخطاب ، أغلقت بابها فى أوجه العشاق جميعًا ، وحُق لها ، فجمالها الفتان يبرر لها أى صنيع . وخشى زوج أمه ا تنداريوس من صراع العشاق وفيهم الأمراء والشجعان والفرسان ، فأسرّت هيلين إليه أنها

ترتضى ملك إسبرطة بعلاً لها .. ويفكر الرجل ويُدبر .. ماذا يفعل ؟ وكيف يصدع باختيار هيلين لمنلوس ، ملك إسبرطة وبطلها المغوار ، فجمع العشاق جميعًا وأخذ عليهم العهد والميثاق أن يقبلوا بإختيار هيلين، وألا ينقلبوا على من تختاره فيلوثوا عرضه ويخوضوا فيه ، وأن يكونوا جميعًا يدًا واحدة على من يقف ضد رغبتها أو يحنث فى هذا اليمين .. وأقسم القوم على ذلك .. واختارت هيلين ملك إسبرطة بعلاً لها.

ووصل ركب باريس إلى إسبرطة ، وخرج الملك منلوس وزوجته الفاتنة هيلين لاستقباله ، فأحسنوا وفادته وضيافته ، واحتفلوا بمقدمه ، واحتشد الناس فى حفلٍ بهيج يقدمهم على الصفين نساء حسان كأنهن عربًا أترابًا ، والتقت وسط الجمع المشهود عينا باريس بعيني هيلين ، وكأن شهابًا رصدًا قد استرق قلبه ، لقد سحره جمالها وخلع فؤاده من مكانه ، وبدت له فينوس حيث لا يراها أحدًا سواه ، وهمست له : " إنها هى .. هى " إنها أجمل نساء العالمين ، تلك التى وعدته بها من قبل إن هو قضى لها بالتفاحة... ولكنها الآن متزوجة ، وزوجها ملك عظيم ، أيكون الوفاء بالوعد غدرًا ؟! وهل تشجع إحدى الربات على الخيانة الزوجية ؟ تلك إشكالية قذفها هوميروس فى طريق روايته ، ولم يعبأ بها بعد فى سرد أحداثها.

لقد انطلق الملك وحاشيته إلى إحدى جنبات ملكه لأمرٍ هام ، وترك باريس مع زوجته وأوصاها به ، فأقبل عليها وأقبلت عليه ، تحدثت العيون قبل اللسان ، كم أنت قصة العشق الجميلة ، قدر السماء وموعود الآلهة .. وهى أيضًا تبادله ذات الغرام ، أين كنت أنت منذ زمن حبيبى ، لقد تأخرت كثيرًا ؟ ! هل نترك هذا الغرام يضيع هباءًا منثورًا .. كلا .. وألف كلا .. فلنهرب بعشقنا فى ظلمة الليل وستر غطائه، ويفر الإثنان سوياً إلى طروادة ، لتبدأ قصة بطولية من أروع قصص التاريخ..

يعود الملك منلوس إلى بيته فلا يجد فاتنته (هيلين) .. ينزل عليه خبر هروبها مع عشيقها الآثيم الذى أكرم مثواه منذ نزل ضيفًا عليه كالصاعقة يصرخ كالمجنون ...أيها

الشعب...شعبى...رجالى... يامن حلفتم من قبل باحترام ميثاق زواج هيلين م ن منلوس وتوعدتم أى خائن .. أنتم يا جنود إسبرطة وإيثاكا وما حولهما .. أين أنتم ، الحرب الحرب .. الشرف الشرف" .. هكذا أعلنها منلوس حربًا لأجل الشرف ، حربًا لأجل الوفاء بالعهد الذى سبق وأن قطعه الجميع.

ولبى البعض النداء فى حين احتال آخرون ، فأوديسيوس (أوليسيز الإلياذة) قد تظاهر بالجنون حتى لا يفارق زوجته الجميلة بنلوب وولده المحبوب تليماك إلى حربٍ لا يعلم مكنون سرها إلا الله ، ثم ليحنث فى يمين ذات شرف خيرًا من أن يحارب لأجل امرأة بلا شرف ، امرأة تهرب مع عشيقها ، امرأة واحدة تتسبب فى كل هذه الكوارث ، فى كل هذا القتل المستحر..

وهداه تفكيره إلى تصنع الجنون ، فأخذ محراثًا وذهب ليحرث شاطئ البحر ، يذهب إليه بالاميدز متحدثًا فيُعرض عنه أوديسيوس متظاهرًا ومبدعًا فى تمثيل دور الجنون ، بالاميدز يناديه .. يا سيدى .. وأوديسيوس يقول له اغرب عن وجهى أنا لست سيد أحد ، ابتعد حتى أبذر الأرض ..

وأى شئ تبذرها يا سيدى ؟

أبذرها ملحًا ؟!

ملحًا ؟! وماذا ستحصد ؟

أحصد باذنجانًا ؟!

هكذا يدّعى الرجل الجنون ، ولكن بالاميدز يلجأ إلى حيلة أخيرة ، فيأتى بتليماك ، الإبن الصغير لأوديسيوس، فيضعه أمام المحراث ، ليرى ماذا سيفعل أوديسيوس ، فيغير أوديسيوس وجهته ، واستطاع بالاميدز بذلك أن يكشف تلك الحيلة.

ويكتمل الجيش بالتحاق المتخلفين عنه ، ويطلبوا من يستبنأ لهم الآلهة عما عساه يكون من مصير هذا الجيش ، وعاد المتنبئون بالخبر اليقين .. لن تفتح طروادة إلا على يد أخيل ..إنه ابن ذيتيس...تلك المباركة التى حضر حفل زفافها موكب الآلهة من قبل، تلك التى شهد حفلها أزمة التفاحة.... وذهب أوديسيوس لإحضار آخيل بعد محاولات مستميتة لغيره بحثًا عن آخيل كلها باءت بالفشل ، وأخيرًا يعثر عليه بعد حيلة أخرى تستّر بها .. ثم يسير الجيش فتهب الريح ، فيستنبئون الآلهة ، لي أتيهم الخبر .. الآلهة عطشى إلى الدماء .. تُرى دماء من تلك التى ترتضيها الآلهة ، دماء إفيجينا الجميلة ...بنت أجاممنون ...القائد العام للقوات...هكذا يصور هوميروس الآلهة فى مشاهد وقحة، وكثيرًا ما يصورهم فى تلك المشاهد، فهم المتنازعون على الدوام .. وهم دائموا العطش إلى الدماء. ولكن هذا المطلب صعب للغاية .. إنها دماء غالية .. تُرى ماذا سيفعل أجاممنون وهل يقبل ؟ لقد فكر فى الأمر طويلاً ، إلى أن اهتدى إلى حيلته ، فكتب إلى زوجته كليتمنستر ... بشراكى يا حبيبتى ، لقد خطب آخيل البطل ، بطل اسبرطة وما حولها ، ابنتنا إفي جينا ، وعليكى أن تُجهزيها لتلحق بزوجها فى الجيش العرمرم لتصحبه إلى طروادة.

وتصدق الأم تلك الحيلة فتجهز ابنتها كما تجهز العروس ليلة زفافها ثم تلحق بالأسطول ، وتشاء الأقدار أن تلتقى بآخيل لتجده لا يعرف شيئًا عن أمر تلك العروس .. يالدهشة الأم وابنتها ، الزوج المزعوم لا علم له به ، ولكن الخادم الأمين للملك يتدخل وينبئها بأمر المأساة كاملة ..

تصرخ الأم وتبكى ، ولكن الأب يُصر على ذبح ابنته قربانًا للآلهة .. دون أن يشغل هوميروس نفسه بالتساؤل ، أو ليست تلك امرأة مثلها مثل تلك التى خرج لأجلها هذا الجيش؟! فلماذا تُذبح هذه ويُثأر لتلك ؟ ويمر هوميروس دون أن يعطينا جوابًا شافيًا ، بل ولا حتى مقتضبًا ، ولكن لأن إفيجينا استسلمت لقضاء الآلهة ، رضيت بما قضت ، فما أن

وضعت رقبتها على المذبح ، وما أن سنَّ الذابح مُديته حتى وجدوها قد رُفعت إلى السماء ، ووجدوا بدلاً منها ظبيًا جميلاً ..

يالرحمة السماء حين تتدخل لنصرة المظلومين من بنى الموتى !!

****

وصل الجيش إلى موانئ طروادة .. أين أنتم يا خونة العشق .. تُرى أين أنت يا دنسة القلب والجسد .. هيلين الخائنة .. أين أنت أيها العاشق الفاجر باريس الخائن .. يا للحرب .. يا للشرف .. وأخذ الجند يهاجمون قرى طروادة دون أن يستطيعوا إقتحامها ، فاقتحموا إحدى القرى وساقوا منها السبايا والغنائم ، وكان من بين السبايا فتاتان ذواتا رقة وفتونًا ،فأخذ إحداهما أجاممنون ، واصطفى لنفسه الأخرى آخيل ، ولكن خريسيز الجميلة ، تلك التى اصطفاها أجاممنون كانت ابنة الكاهن الورع خريسز ، قديس الإله نبتون ، وما أن علم بأمر سبى ابنته حتى ذهب إلى القائد العام أجاممنون ، لاذ ببابه مرات تعقبها مرات ، وفى الأخير أذن له ، فطلب منه أن يرد عليه ابنته ، ولكن أجاممنون نهره وهدده وتوعده.

ويأس الكاهن من الأرض فلجأ إلى السما ء يستنجدها ويستعطف آلهتها الرحيمة التى تجيب دعوة الداعين .. إلهى .. يا عظيم القدر .. أرأيت ما حلَّ بى وبابنتى !! أرأيت كيف سخر أجاممنون منك ومن قدرتك وبطشك وإنتقامك .. غرته قوته وظن أنه صاحب القوة المطلقة.. إلهى أسألك بحق هذه الدمعات الصادقة أن تنتقم من ه ؤلاء الظالمين ، الذين سخروا منك ومن عبدك الضعيف خريسز .. وظل الرجل يبتهل ويدعو وتبتل لحيته الكثيفة بدموعه النقية ، فاستجلب بها رضا الإله وعطفه ، وانتفض الإله العظيم وصب من جام غضبه على سفائن الجند الهيلينيين ، فنزلت سهامه عليهم كالمطر ، فلا يرون مصدرًا لها وإنما فقط يقاسون نتائجها ، فما تأتى على قوم إلا وتذرهم قاعًا صفصفًا لا ترى فيهم عوجًا ولا أمتًا ، ولا تسمع إلا أنينًا وبكاءًا وضجيجًا ، فقد أضناهم الضرب من السماء ، لا شك إنه غضب

الآلهة .. ما سببه إذن ؟! فلتذهب يا كالخاس ، أيها المتنبئ الأمين إلى المعبد لترى طلب الآلهة ما يكون !! ويذهب كالخاس ويعود بالنبأ الفصل .. خريسيز يا سادة .. إنها طلبة الآلهة، لابد من عودتها إلى أبيها ... القديس الذى ثارت لأجله آلهة السماء ... وغضب لغضبه سيد الأولمب ، وتوسل القوم إلى القائد العام كى يخلى سراحها لتنجلى الغمة عن الجيش ولكن دون جدوى .. إنها ملأت عليه حياته ، جعلت من نفسها له الوطن فى تلك الغربة المريرة .. الدفء فى ليل الشتاء القارس .. فأنىَّ له بالإستغناء عنها وقد سارت له الجسد والروح فى آنٍ..

ولم تفلح التوسلات إلى أجاممنون بالتخلى عن سريته "خريسيز" ، فذهب إليه آخيل نفسه طالبًا منه أن يسرحها سراحًا جميلاً ، ولكن أجاممنون يترل عن كل قواعد الأدب واللياقة ويطلب من آخيل التخلى له عن جميلته "بريسيز" لتكون بديلاً له عن "خريسيز" .. وكاد آخيل أن يغمس سيفه فى صدر القائد العام لولا تدخُل مينيرفا ، ربة العدالة والحكمة ، لتهدئ من روعه ، ولتجعله يقبل الشرط دون ضجيج ، فهو كالعادة ملاذ القوم حين تشتد الخطوب وتتعقد المشكلات..

ويصدع آخيل لأمر السماء ، فيترل عن صفيته الجميلة "بريسيز" لأجل أن يُسرح أجاممنون خريسيز لأبيها ، ويأخذها أوديسيوس على إثر ذلك إلى أبيها المحزون ، القديس الذى تحركت لأجله السماء ، ليجده فى محرابه يصلى للآلهة ، فيعطيه ابنته ، فيهش الكاهن ويبش ، ويسجد شكرًا للسماء أن نصرته على بُغاة الأرض .. ثم يقدم الجيش القرابين للإله أبوللو ولسيد الأولمب ، فتنكشف الغمة ، ليقوم الهيلانيون بدفن موتاهم وترضى عنهم السماء.

****

ولكن أخيل لا يزال مغضبًا من تلك الإهانة ، إذ كيف يترل عن حبيبته مضطرًا لأجل شره وطمع رجل آخر .. وكذا تغضب أمه ذيتيس ، معشوقة زيوس الأولى ، والتى لو أمرته بهدم

الأولمب لهدمه ، تذهب إليه باكية شاكية ، تنهمر الدموع من عينيها .. يبتدر الإله دموعها ... يتودد إليها فى رحمة ، ويرحمها فى تودد .. ذيتيس ، حبيبتى .. ما الذى يبكيك؟!

إنه آخيل !! ولدى !! لم تكتفى الآلهة بأن أرسلته ليلقى حتفه تحت أسوار طروادة فجعلت أجاممنون يُهينه !! وقصت عليه من نبأ خريسيز ، فأطفئ زيوس روع قلبها وناره ، وطمأنها بما فيه رضاها ، فانصرفت واثقة من عدالة زيوس.

ويرسل زيوس رب الأحلام إلى أجاممنون ، يداعب خياله ، يبُث فى روعه أن زيوس يأمره إذا أصبح الصباح أن يشُد أزر جنوده ويقتحموا أسوار طروادة فسوف تُفتح لهم .. ويُصبح أجاممنون محدثًا جنده ومجلسه العسكرى بالرؤيا ، وأخذوا فى تنفيذها طمعًا فى وعودها ولكن معركة يغيب عنها آخيل وجنده الميرميدون محتومة الخسارة ومضمونة الإنتكاس ، فأنَّ للإسبرطيين ومن ورائهم الهيلينيين بالنصر مهما كان عددهم ، ألم تعد الآلهة ألا تُفتح طروادة إلا على يد آخيل ، وأين آخيل اليوم ؟!

ويقع هوميروس هنا فى التناقض ، إذ يُصر فى العد يد من المواقف على أن الآلهة لا تكذب ، ولكنه يسوق على لسان وعقل إلهين حلمًا كاذبًا من تدبير زيوس ، يحمله رب الأحلام ، إلى رأس أجاممنون ، أو ليس هذا كذبًا يناقض به هوميروس نفسه ، وقد وجه له أفلاطون النقد فيما بعد.

وتشتد ضراوة القتال وبأسه ، يحاول كل فريق من الفريقين الدفاع عن شرفه ، وعن وطنه ، فالمعركة فى طرفيها تحمل هدفًا واحدًا ، وغاية واحدة .. الهيلانيون يقاتلون دفاعًا عن الشرف ، عن المجد .. عن هيبتهم التى ضاعت بهروب امرأة لا شرف لها مع عاشق لا عقل له ، والطرواديون يدافعون عن وطنهم وما يلاحقه من أخطار ليس لهم فيها يد وليس لهم منها بُد .. هكذا فرضت الحرب نفسها على الطرفين ، وهى مشروعة لكلاهما ، أحدهما دفاعًا عن شرفه ، والآخر ذودًا عن وطنه ، ولهذا السبب فقد جعلها هوميروس سجالاً بين الطرفين ، لم

يرفع فيها طرف على طرف إلا فى اللحظات الأخيرة لتنتهى بذلك المعركة ، وحتى بعد أن انتهت يبرز خسارة الجميع ، ويكأنه يريد أن يوصل رسالة إلى الجميع مفادها .. الحرب دمار وبوار ، وخسارة محققة ليس فيها منتصر ولا إنتصار.

ووسط ذاك الدمار الذى تحدثه الحرب تنقسم الآلهة ثلاث طوائف ، طائفة تناصر الهيلينيين وعلى رأسهم مينيرفا لأنها ضد باريس الذى حكم بالتفاحة لغريمتها فينوس ، وطائفة تؤيد الطرواديين وعلى رأسهم فينوس لأنها قطعت على نفسها العهود من قبل لباريس ، وطائفة لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء ، غير راضين عن تلك الحرب الشعواء التى التهبت نيرانها دون سبب يستحق كل تلك الضحايا ويستحل كل هذه المهج ، وهذه الطائفة تحنق على طروادة ، وعلى هيلاس جميعًا ، ويودون لو يأذن سيد الأولمب فيزلزل بهم الأرض ، ويرسل عليهم كسفًا من السماء فلا يبقى منهم ولا يذر.

فى وسط تلك الحرب المستعرة ، والنيران الملتهبة ، تفزع أندروماك ، زوجة البطل النبيل هكطور ، بطل طرواد ة ، فقد اشتعلت رأسها من هول المعركة شيبًا، فزعت إلى زوجها ، تتمنى أن يبسط السلام يدًا على تلك الأرض المعذبة ، الأرض البائسة ، التى لم يجنى أهلها على أنفسهم سوى الخراب والدمار ، فتنادى زوجها والحزن يمزق نياط قلبها .. " هكطور ! رجلى وذخرى فى هذه الحياة . إلى أين أيها الحبيب ؟ أما لهذه الحرب الطاحنة من نهاية ؟ أهكذا قضت الآلهة على طروادة الخالدة بالحزن الأبدى والأسى السقيم ؟ هكطور ، ألا تفكر فى سلمٍ يرفرف على ربوع الوطن ويُبقى على هذا الشباب الذى تعصف به ريح الحرب عصفًا " ولكن تلك العاطفة الجياشة لم تترك أدنى أثر لها على نفس هكطور ، إنه يدافع عن وطنه المسلوب ، وطنه الذى ما برح المعتدون أبوابه طمعًا فى فتحه والعبث بخيراته من ناحية ، ثم أخذ النساء سبايا وإماء ليخدمن فى بلاد الإغريق من ناحية أخرى ، ويعرض هوميروس لهذين المشهدين دون أن يقف عندهما ، فيورد خوف هكطور ع لى زوجته وأمه ونساء بلدته

من أن يُسقن إماءًا إلى أرض الإغريق ، إنه يتمنى لو فُرطت حبات عقد حياته فى لحظة واحدة كأنها حبة واحدة سقطت فى لحظة عاصفة كورقة شجر فى نهار خريف تحتد ريحه ، خيرًا له من رؤية ذاك المشهد الذى يؤرقه ، والذى لأجله رهن حياته ، والذى دفعه إلى الموت دفعًا..

ودارت الأيام الأخيرة من العام العاشر لتلك الحرب المشئومة سجالاً بين الفريقين لتدخل فريق من الآلهة فى جانب كلا الطرفين ، ولكن آخيل ذالكم البطل الذى تنبأ له الكاهن من قبل بأن طروادة لن تفتح إلا على يديه لازال مغضبًا ومعتزلاً جنده ، يذهب إليه بتروكلوس ، صديقه الوفى ، أحد أبرز جند الميرميدون الجبارين ، يحاول ما وسعته الحيل ويُلح ما وسعته العبارات .. مستغيثًا بآخيل ، الأمل المعقود بين ثنايا الموت ، والسيف البتار على جبينه تنتثر المنايا ، ولكن الغضبة كانت كبرى ، والألم كان موجعًا ، فلم يفلح بت روكلوس فى إقناع البطل بالعدول عن رأيه ونزول المعركة لإنقاذ جيشه ، ساق هوميروس على لسانه كل آليات التحفيز التى لو نزلت على جبلٍ لجعلته دكًا .. فهذا اليوم كله للوطن .. كله للشرف .. دفاعًا عن الوطن ، ودفاعًا عن الشرف وما أدراك ما الإثنين فى خُلد هوميروس؟ ! ولكن الجُرح كان أعمق من الوطن ذاته فى نفس آخيل ، إنها قضية كرامة ، وهى قضية عزيزة ليست أبدًا بالهينة ، فقد تقام لأجلها الثورات ، وقد تسقط لأجلها حضارات ، وقد تموت فى سبيلها بلادا!!

ويضطر بتروكلوس أن يقوم بدور آخيل ليبُث الشجاعة فى نفوس الجند من جديد ، وليعيد كفة الهيلانيين إلى المقدمة تارة أخرى ، فيرتدى خوذته وبذلته العسكرية ويقود الجند ، ويكأن روحًا سرت فى أموات فقاموا ينفضون عن أنفسهم تراب البرزخ، مستقبلين الحياة الجديدة بكل عزة وأمل ، بكل عزيمة وإرادة .. وكم كان بتروكلوس شجاعًا أيضًا ، كم استطاع أن يتقمص بطولة آخيل وليس مجرد زيه العسكرى فقط ، فكانت لتلك الحيلة الأثر الأعظم فى تلك الحرب ، وبعد أيامٍ من قطر المنايا على رءوس الطرواديين ، يتصدى هكطور ، بطل

طروادة الذى لا يحارب إلا دفاعًا عن وطنه ، وذودًا عن شرفه وبيضته أيضًا ، يقف كالأسد المغوار فى وجه بتروكلوس فيقتله ، ثم يقف أمام جثته ليُنبئنا عما أسرَّ فى نفسه ، مخاطبًا جثمان غريمه .. "بتروكلوس.. أرأيت!! لقد انتهيت ، لقد طاحت آمالك وذهبت أمانيك فوق هذه الساحة أباديد ! بتروكلوس.. أكنت تحلم بأن تُفتح طروادة عليك ، فتسوق بيض خدورها إماءً بين يديك إلى بلادك ، وتقون فى الأصفاد أبطالها الميامين أيها الأغر التعس ؟!" ...

وكم وقع قتل بتروكلوس على نفس آخيل ألمًا وحزنًا وكمدًا ، كم جعله يندم الندم الشديد ألم يستجب له ويسانده ويقف إلى جواره لأجل الوطن .. فابكى يا آخيل .. ولتبكى ما وسعتك الدموع من بكاء .. فكم يستحر البكاء عند الندم ، وكم يلوى البكاء عنق النفس حينما يبكى الرجال ، وكم تدفعهم تلك الدموع إلى العزة والكرامة وبعث الروح أشد وأمضى من ذى قبل .. لابد من الثأر من هكطور .. ذاك الطاغى العربيد الذى قتل بتروكلوس ، ولكن هوميروس لا يتأثر بعاطفة أخيل ويؤيده فى اعتقاده بأن ه كطور معتدى ، وإنما هو مع هكطور ، بل هو مع الطرفين لأن سبب الحرب لديهما كلاهما مشروع لدى هوميروس ، هكطور يدافع عن أرضه ، عن شرفه ، عن بيضته وخدور نسائه وجمال أبكاره ، ولذات الغايات تقريبًا يحارب أخيل ومن ورائه الهيلانيون ، ولأن الغايات اتحدت ، فقد جعلها هوميروس سجالاً بين الفريقين ، وجعل من نفسه مؤرخًا حياديًا يكتب بقلمه ويصور بروعة فنه وقوة تشويقه تلك الأحداث دون أن يكون له هوىً متبع ، ودون أن ينقد أسباب الحرب حتى وإن كان يجنح كثيرًا إلى السلام ، وينطق به أبطاله ويجعله أمنية قصوى لهم.

ويبكى أخيل بكاءً مستعرًا بلهيب نار مستعرة بدرجة غليان القلب والوجدان ثم يأمر أمه وبعض جنده بحراسة جثة بتروكلوس ، فلن يقيم الشعائر الجنائزية حتى ينتقم له من هكطور ، حتى يذيق القاتل من كأس المنايا ، ثم يشحذ عزيمته ، ويمتطى جواده ، ويُشهر فى وجوه العالمين سيفًا عُقد الموت على طرف سنانه ، ثم أخذ يُعمل القتل الوحشى ، القتل الإنتقامى ،

فى جنود الطروادين ، حتى لكاد غضبه يوقع بينه وبين الآلهة ذاتها ... ثم أخذ يبحث عن هكطور فى ذات الأثناء التى يقف فيها بريام الملك وزوجته هكيوبا وأندروماك زوجة هكطور ، يتوسلن إليه بدموعهم الصادقة ، وقلوبهم الحانية ، لا تجعلنا نبكى دمًا عليك طيلة عمرنا .. هذه حربُ خاسرة من كل الوجوه ، لا تلاقى أخيل .. الأب المرزء يتحدث تارة ويجهش بالبكاء أخرى ، وكذا الأم والزوجة .. توسلوا إليه باسم الآلهة ، وباسم ابنه ، الطفل الصغير الذى ملك على أبيه اللب والقلب ، ولكن الغا ية أكبر بكثير من كل العقبات ، وكأن هكطور يرسل رسالة موجزة إلى زوجته ووالديه .. أنتم تبقون على حياتى بدافع العاطفة .. وأنا أقضى حياتى بدافع الشرف!! فأيهما أعز وأبقى ؟!

ويأس منه الجميع ، ولكن أمه هكيوبا لا يزال الأمل يداعبها ، فوقفت محاولة تارة وتارات .. " هلمُ يا ولدى فإنك وحدك لا تستطيع أن تكبح جماح هذا البحر الزاخر من الجند ، بل لو أن معك ألفًا من شجعان طروادة ما وسعهم أن يردوا عادية هؤلاء الميرميدون المقنعين فى حديدهم ، المفاخرين بعديدهم . هلم يا هكطور واستبق شبابك وعنفوانك لأمك المحزونة التى لم يبق لها من ولدٍ غيرك ، ولا عز إلا فى جوارك ، ولا حمى إلا فى كنفك ، ولا مجن يرد عنها عوادى الأيام إلا فى ظلك ، ولا فخر لها بين النساء إلا فخرك ، وما تمد الآلهة فى أيدك وتشد به أزرك ، هلمُ يا بُنى فلقد أزعجتنى الرؤى ، وروّعتنى الأحلام ، وجثمت فوق صدرى أشباح هذه الساحة التى لا تفتأ تلبس الحداد وتخلعه ، وتُغرى بالنصر ثم تنزعه ، وإن سرَّت بطلاً بفوز تنكص فتفجعه ، فتقد أضلعه وتمزج بدمه أدمعه" ..

ولكن لا جدوى من هذا الكلام ولا أثر ، فالغاية لدى هكطور أعظم من كافة المعوقات وأكبر من العواطف ولغة القلوب .. إنه الوطن .. إنه الشرف ... ولأجلهما تهون ألف حياة ، وتضيع ألوف الأنفس ، فمن ضاع لأجلهما وُجد ، ومن تقاعس عنهما فُقد ، ثم لابد من مجابهة القدر ، فما دام كل شئ مكتوبًا فالفرار من الموت خزى وعار يلازم صاحبه أبد الدهر

.. فإذا كتب القدر موتًا على أحد بنى الموتى فأشرف له أن يواجه قدره بشجاعة وثبات لا فرار وإنتكاس ، فطالما كُتب القدر فلا راد له ولا تبديل لقضائه .. وأخذ كلاً من الطرفين ، هكطور وأخيل ، يبحث عن غريمه ، كل منهما يُمنى نفسه ، لكن الأمنية مختلفة ، فهكطور يُمنى نفسه بقتل أخيل ، فإن قتله فقد أراح البلاد والعباد من شره إلى الأ بد ، وحقق لنفسه مجدًا تذكره أجيال الطرواديين إلى يوم القيامة ، حتى وإن قُتل فقد قضى لأجل الوطن ، لأجل الشرف ، وما أعظمهما من غاية ، وما أرفعهما من مكانة ، أما آخيل فيُمنى نفسه بلقائه لقتله ، فليس لديه خيارات أخرى بمقارنة المقومات الجسدية والحربية والمهارا ت الشخصية لكلا البطلين ، فكفة أخيل بلا شك أرجح ، إنه يُحدث نفسه بالثأر لبتروكلوس ، فكم يود أن يعود إليه ليقيم الشعائر الجنائزية على جثته ، فقط بعد أن يثأر له ليُهدئ من روع فؤاده وقلبه الملتاع..

وبينما تطوف الأمانى برأس هكطور ، إذ يجد نفسه وجهًا لوجه أمام أخيل ، فيفر من وجهه طوافًا حول المدينة ثلاثة أيام بلياليهم ، وأخيل يسعى من ورائه فى طلبه ، فكانا كالليل والنهار لا الليل يدرك النهار ، ولا النهار يدرك الليل ، كلُ فى فلكٍ يسبحون ... إلى أن وقعت الأقدار من علم السماء المكنون ومن أسرار المنون وقضت بقتل هكطور فى اليوم الرابع من هذا الطواف.

ووقف هكطور أمام أخيل وسط هلع فؤاده بينما يرقص فؤاد أخيل من شدة الفرح .. لقد كاد أن يشفى غليله ممن قتل بتروكلوس ، الصديق الوفى .. ولكن هكطور يحاول أن يخفى خوفه بعبارتين ، الأولى يحاول تقديم نفسه لأخيل على أنه البطل المغوار ، وما كان جريه هربًا وخوفًا بل كان مناورة عسكرية يجريها الفرسان البواسل لإنهاك العدو حتى إذا أنهكه التعب وخارت قواه أجهز عليه، والثانية أنه حاول إعطاء نفسه الأمل فأعطى الوعد لأخيل إن هو

قتله ألا يعبث بجثته أو يُمثل بها أو يتركها لتنوشها الجوارح والسباع ، ثم طلب من أخيل نفس الوعد ، دون أن يظفر منه بشئ ، فقد تميز فؤاده غيظًا من تلكم العبارتين..

وبرز البطلان بوجهيهما وسيوفهما تقطر المنايا .. تُرى أى سيف سيكون له الغلبة على صاحبه؟ خاصة أن كلاهما على الحق ، كلاهما يدافعان عن غاية واحدة وطلبة واحدة ، فقط يختلف طالبوها .. اتحدت الغايات واختلفت الخصوم .. يضرب أخيل برمحه صوب هكطور .. يتفادى هكطور تلك الضربة فتكون الأرض بديلاً لجسده ، فيغوص الرمح من شدة الضربة إلى فرسخين فى الأرض.. ولم يستثمر هكطور تلك الفرصة ، فقد أصبح أخيل أعزلاً .. كان يمكنه القضاء عليه ما بين غمضة عين وانتباهتها ، ولكن أناته جرَّت عليه المصير المحتوم .. لقد وقف يلومه .. أنت يا أخيل ظننت أنك ستقتلنى ، فأنا الآن أقتلك لأريحك إلى الأبد فى ذات الوقت الذى أريح فيه البشرية من تسلطك وتجبرك ، ولم يتم كلامه وشماتته بأخيل حتى كانت مينيرفا – ربة الحكمة – قد ناولته رمحه من جديد ، فيضرب هكطور برمحه صوب أخيل فيفتدى منه مثلما فعل معه هكطور من ذى قبل ، ثم يكون أعزلاً أمام أخيل ، ينادى ولكن ولات حين مناص ، لا مجيب ، ولا سميع ، ولا مغيث ، ولم يكن أخيل بأناته ، فضربه ضربة فقضى عليه..فكانت الضربة الأخيرة..والألم الأخير...

هكذا قضى هكطور .. قضى نحبه فى سبيل الوطن ، فأشرف له أن يموت فى سبيل وطنه من أن يحيا حياة رخيصة يرى فيها بعينيه نسائه وأبكار وطنه يُقدن عبيدًا وإماءً وسرايا إلى بلاد الإغريق .. ولكن آخيل لم يعبأ بأمنية هكطور السالفة بعدم التعرض لجثته ، فيأمر جنده بربطها فى عربة الخيل وجرها والطواف بها حول طروادة .. ثم ذهب هو لينشغل بالطقوس الجنائزية لرفيق دربه وشريك كفاحه ، بتروكلوس الوفى .. الصديق الأمين .

وتستقبل طروادة نبأ مقتل هكطور بالسواد القاتم والليل المظلم ، فاتشحت البلدة كلها سوادًا وحزنًا مقيمًا .. لقد سقط آخر حصن لهم أمام الهيلانيين ، وطالما سقط هكطور

فالبديهى أن تسقط طروادة ذاتها .. فلكم كان هكطور أملاً للوطن المكلوم .. كم كان القوس والسيف ، وكم كان الحصن والمنعة ، ولكن آن له أن يرفل فى نعيم لا شقاء بعده ولا همَّ ، لا حزن بعده ولا نصب ... ولكن التمثيل بجثة ه كطور بعد قتله يترك فى نفوس والديه وبنى وطنه أثرًا أعمق من حادثة قتله ذاتها ، فالإساءة إليه ميتًا أعمق أثرًا فى نفوسهم من قتله حيًا ..

ويذهب بريام .. الملك الحزين ، وكأنه يدفع وطنه وأولاده ثمنًا لقسوة قلبه من قبل على باريس ابنه .. الطفل الصغير الذى قذف به فى عمق الصحارى المتلظية متجردًا عن كل مشاعر الأبوة.. وكأنه يدفع الضريبة اليوم لذنبٍ لم يكن له فيه يد ، بل حكم به القدر .. يذهب إلى أخيل الذى انتهى لتوه من تحريق جثة بتروكلوس ، تكاد قدماه لا تحملانه ، يكاد الحزن يقضى على بقية من عُمره ادخرها له القدر إلى حين .. يقف أمامه باكيًا متوسلاً .. أعطنى جثة هكطور يا ولدى .. إرحم دمعات أبيه المحزون وأمه المكلومة .. فلن يجدى العبث بجثته فتيلاً .. وأثرت تلك الدموع فى أخيل ، كما أثر فيه رؤيته للطيب والسدر يترل على جسد هكطور يُطيبه دون أن يعلم له مصدرًا ، فسلمّ الجثة لأبي ه ليقوم هو وأسرته ، ومن ورائهم طروادة ببشرها وترابها .. صغارها وكبارها .. ضواريها وأليفها ، بتوديع هكطور الوداع الأخير ، وبإقامة الشعائر الجنائزية له وسط دعوات وصلوات ومباركات ورضا عن بلائه لا حدّ له ، وحب استولى على قلوبهم جميعًا لا ينقضى حتى بإنقضاء الروح ذاتها..

وبعد مقتل هكطور أصبحت الأمور فى أعين الهيلانيين أكثر سهولة ، فما هى إلا كرةً وكرة وتفتح لهم طروادة على مصراعيها ، فأخذ أخيل وجنده ينوشون ويقتحمون فى حربٍ ضارية أرادوا أن تكون نهايتها وشيكة مضمونة النصر والعزة، وبينما هو يقاتل خارج أسوار طروادة إذ رأى طيفًا رقيقًا استلب منه لبه وقلبه ، طيف حنَّ له القلب ، وسكن إليه الفؤاد ، إنه طيف الفاتنة الساحرة بوليكسينا .. ابنة الملك بريام .. فقد نبع حبها فى قلبه وأثمر فى لحظات

،إنه الزرع الأسرع إنتاجًا والأعظم ثمرا فى تاريخ البشرية الطويل .. الحب... وكم يحيى الحب ويميت .. وكم يذوب لرقته الصخر .. يا ليت تلك الحرب ما قامت ، ويا ليتنى ما قتلت هكطور، ويا ليتنى ما قدمت من حياتى السالفة شيئًا ، فقط بوليكسينا .. مراد القلب ومنتهى النهى .. تقدم للملك بريام لخطبتها وقلبه مفعم بالحب ، وضميره ينتوى السلام ، وأسرع فى تحديد العُرس ، وساعد الملك المفعم حزنًا والمكتظ غمًا على القبول ما وجده فى قلب ابنته من حب لذاك البطل الذى لم تنشق أرحام النساء عن مثله أبدًا ، وحُدد العُرس ، وأضاءت سُرُج الفرح لتبدد قليلاً من ظلمات الحزن وتعاسة الحرب وسواد المصائر ، ولكن باريس .. العاشق الغادر ، وكم لباريس من غدرات ، يرمى أخيل بسهم فى يوم عُرسه فيدخل السهم إلى عقبه فيترف حتى الموت .. بذا قضت المقادير ، ليموت أخيل وآخر أمنية له فى حياته هى الزواج والحياة الهادئة والسلم الذى يرفرف على جنبات الأرض ، والخير الذى يعم البشرية .. كانت تلك أمنيته التى تأخرت كثيرًا ، والتى شاءت الأقدار ألا يراها على أرض الواقع ، وكأن القدر ضنّ عليه بتلك الأمنية جراء ما قتل وما أفسد ، وكأن القدر يبارك أمنيته لكنه لا ينس له سوء صنيعه وسوء ما قدم .. فيقضى عليه بالموت جزاءً وفاقًا ، لكنه لم يحرمه من إبداء أمنيته ورغبته فى سلمٍ يرفرف على أرجاء الكون الذى عبثت به المنايا.

وكم كانت المقابلة شنيعة ، المقابلة بين نية البطل ومصيره ، وكم كان الحزن باديًا على الهيلانيين والطرواديين جميعًا ، نعم الطرواديين .. فقد حزنوا على بطل أبدى نواياه للسلام ، وكم حزنوا على بطل لو أمهله القدر لحظة واحدة لكان صهرًا لهم ولأصبح حاميًا ومدافعًا عنهم بعد أن كان ألد أعدائهم ، وكم حزنت الآلهة أيضًا ، فمثل أخيل ، بتلك القوة والشجاعة ، ثم بتلك النية الحسنة والإرادة الطيبة ، لم يكن هذا ليكون مصيره أبدًا ، ولكن كم لربات الأقدار من أعاجيب ، وكم لجوف الأعظم من مقادير ، وكم له من إرادة لا تخطئ أبدًا ولا تُعارض.

أظلم الكون وأسدل الوجود شارة النهاية بقتل أخيل ، وكأن بيت بريام كُتب عليه الحزن الأبدى ، حتى ما بدا له من ومضات نور فى ظلمات لياليه حالكة السواد يأباها القضاء عليه ويرفضها القدر ، لتُكتب النهاية السود اوية على الكون كله ، تلك التى ما تمناها هوميروس أبدًا ولكنه رآها الحل الأعدل لتلك القضية برمتها.

ولم ينس هوميروس نصيب باريس الخائن ، الذى جرَّ على وطنه كل هذه الويلات والثبور ، فكم دفع من أرواح خسرتها الإنسانية فى سبيل طيشه وإرضاء نزواته ، وكم جاد أبطال لأجل – نصف رجل – لا يساوى قليلاً ولا كثيرًا ، وكم اكتسى الكون سوادًا واتشح حزنًا وهمًا مما قدم وجنت يداه..

رجل واحد ، أو قل نصف رجل ، يجر على الإنسانية كل هذه الويلات وكل هذا الخراب والدمار ، نعم .. إنه باريس .. وكأن هوميروس يحذر الأجيال اللاحقة عليه من ال شهوات والأهواء ، من عبثية بعض المستهترين الذين قد يورطوا الإنسانية فى حروب لا آخر لها بسبب هش لا أصل له ، بسبب نزوة أو هوى ، بسبب عُجب بالنفس أو غمطٍ للحق أو استكبارًا فى الأرض بغير الحق ، فكل هذه مشاهد تقرئها عبر الإلياذة .. تستقرئها وتستنبطها ، فكلها معا نى اختزلها هوميروس فى بطن النص ، وفى متن الحروف ، وفى ظل العبارات .. وتشاء الأقدار بأن يُغدر بالغادر ، ويُخان الخائن ، ويُقتل القاتل ، هذه حكمة يختبئها القدر خلف طيات قضائه ، فيطيش سهم من رامٍ لا يخطئ الرمية فيقتل باريس من فوره ، وما هى إلا أيام معدودات وتتووج عشيقته الغادرة بأخيه الأصغر وتعيش حياتها وكأن سيف المنون لم يعبث بطرف ثيابها ، وكأن هوميروس يصور العشاق فى العشق غير المشروع بالنقص الحاد فى المبادئ والعيب الشائن فى الأخلاق والخلو من كل قيمة والتروع عن كل مبدأ.

وليس من أمنية أخرى يصبو إليها هوميروس ليطيل أمد الحرب ويمد حبل النزاع ، فقد حقق كل ما يريده فلسفيًا بقلم أدبى رصين .. وماذا بعد نقد الحرب على لسان الأطراف جميعًا ..

وماذا بعد تمنى السلام على لسان الأبطال من الفريقين ، على لسان القائد العام للهيلينين أجاممنون .. وعلى لسان أشجع القادة أخيل ، وعلى لسان زوجة هكطور أشجع بنى طروادة ووالديه الملكين الكريمين .. فكلهم بسطوا أيدى السلام وتمنوا لو عمهم جميعًا بخيره ورفاهيته ورغد عيشه ، وماذا بعد جزاء الخائن من قتل ، ومن خراب وطن بفعلةٍ غير مسئولة من عقلٍ طائش لا خلاق له ولا أخلاق .. وماذا بعد قتل الأبطال جم يعًا من الطرفين ... ليدلل هوميروس على مقته للحرب أشد المقت .. كل ذلك ما صبت إليه نفس هوميروس وتاق إليه فؤاده ذو الحس المرهف .. ومن ثمَّ لم يبق أمامه إلا فتح طروادة لتنتهى تلك الحرب الشعواء عالية التكاليف بلا سبب مقنع ، بل باهظة الكلفة دون وجود مبرر عقلانى و احد لها ، ولعل هذا ما أراد هوميروس أن يلفت الأنظار إليه ، ليقول للأجيال من بعده .. انظروا فى صراعاتكم بعين العقل لا بعين الطيش .. ليحكم فى قضاياكم المصيرية ذووا العقول لا ذوى الطيش والعربدة .. انظروا إلى مستقبل الإنسانية ، فذاك المستقبل يستقيم مع السلام لا مع الحرب .. الحرب خراب ودمار للجميع ، فالكل مهزوم .. الكل خاسر ، على الأقل إن لم يخسر ماديًا وبشريًا فقد خسر قيميًا .. خسر أخلاقيًا .. ثم انظروا إلى أسباب الحروب ، فكلها أسباب تخرج من تحت عباءة البشرية لا الإنسانية، النفس الأمارة بالسوء لا النفس المطمئنة ، الشخصية الهوجاء لا الشخصية العقلانية .. كل أسباب الحروب واهية ، إذ لا يوجد سبب حقيقى يمكن أن يكون ثمنًا لإزهاق روح أو لوأد حياة أو لقتل وجود .. تلكم معانى سامية أخرها هوميروس فى إلياذته ببراعة لا نظير لها ، وحس متفرد المعنى وعبق منقطع المثيل..

حاصر الهيلينيون طروادة بقيادة منلوس ملك إسبرطة ، وأجاممنون .. القائد العام فى تلك الحرب الضروس ، ولكنهم رغم كل ذلك ، رغم ما كبدّوه للطرواديين من خسائر بشرية لا تُعوض كان آخرها مُبكى الأرض والسماء .. هكطور البطل الذى سيظلون يخلدون ذكراه

جيلاً بعد جيل وقرنًا بعد قرن .. إلا أنهم فشلوا فى اقتحام أسوار طروادة المنيعة .. لابد إذن من حيلة جديدة ومبتكرة ، حيلة يدخلون بها المدينة المنيعة التى امتلأت حصونًا .. حصنًا من وراء حصن ، وشاءت إرادة هوميروس وخصوبة خياله أن يسوق تلك الحيلة إلى عقل أوديسيوس ، بطل الأوذيسة الذى سطر ألو ان المجد والبطولة ، فيفكر فى صناعة حصان ضخم يختبئ فيه خيرة جنده وصناديد أبطاله ، ويُخلون أرض المعركة تمامًا من جندهم ، ليختبئوا خلف الجبال والسهول والوديان ، أو ليقبعوا خلف الأشجار ذات الطلعُ النضيد ، المهم ألا يبقى لهم أثر ، ليطمئن الطرواديون إلى أن المعر كة انتهت ، إلى أن تحين الفرصة ويُدخل الطرواديون الحصان الضخم إلى مدينتهم ليحتفظوا به كتذكار ، وفى هجيع الليل وسقيع برده يخرج الأبطال المختبئون من الحصان الضخم ويفتحوا أبواب طروادة المنيعة فيدخلها جندهم وتسقط المدينة المحصنة فى أيديهم .. تلك هى الخطة التى ر سمها أوديسيوس واقتنع بها الجميع ، لكن بقيت عقبة واحدة فقط ، من ذا الذى يقنع بريام .. ملك طروادة المبتلى.. بإدخال الحصان إلى مدينته لتتم الحيلة بنجاح؟!

واهتدى الهيلانيون إلى شخص يجيد فن التمثيل أروع إجادة ، هو جامعة فى الأداء المقنع وحده ، إنه سينون الداهية ، يذهب إلى الملك بريام يقص عليه التلفيق فى صورة حقيقة ، ويزف إليه البشرى بخذلان الآلهة للهلينيين ونصرهم للطرواديين... وكيف لا تنتصر يا جلالة الملك وأنتم المعتدى عليكم ، أنتم أصحاب الحق المطلق فى هذه الحرب الغشوم .. قسمًا بالآلهة يا جلالة الملك إنكم لتستحقون هذا النصر عن جدارة .. كم أنا نادم باصطحاب جيش معتدى ، جيش ظالم كجيش الهيلانيين.

ويسكن سينون لحظات ليستدعى دمعه لينتزع تصديق الملك وحاشيته فيحكى فى نشيج وينشج فى الحكى ... لكم راعت لكم السماء فضلكم ، ولكم اقتصت لكم ، فأبيد

الهيلانيون بحول الآلهة وقوقم ، فنوا عن آخرهم ، فهل ترى لهم من باقية ، هل تُحس منهم من أحدٍ أو تسمع لهم ركزًا؟!

لقد ترك هذا الجيش المعتدى هذا الحصان يا مولاى .. خذوه تذكارًا لكم أبد الدهر .. ذكرى للأجيال القادمة على مر الزمن ، ذكر تأييد السماء لكم وخذلانها للهيلانيين ، إنها ذكرى ما أعظمها يا مولاى ، ذكرى نصر صنعته السماء على عينها.

ولكن لاوكون " راهب نبتون الأكبر "، ذالكم الرجل الوقور ، يحذر الملك من أن تنطلى عليه حيلة هذا الكاذب ودموعه الخائنة ، إياكم يا جلالة الملك وأن تسمعوا لهذا الأفاك الأثيم ، إنه ثعبان ، أو ربما ثعلب .. إدخال الحصان إلى مدينتنا فيه شرُ وبيل ، وهمُ مستطير ، وشرر سيحرق الكبير والصغير ، وهاكم كاسندرا ، ابنتكم الوقورة فاسألوها إن كنتم فاعلين

ولكن أنىّ لهم بتصديق لاوكون ، وأنىّ ثم أنىّ لهم بتصديق كاسندرا ، لقد صب عليها زيوس غضبه وجعلها سخرية لسامعيها إذ رفضت الزواج منه ، وما سمع الملك كلام ناصحيه ، فأمر جنده بإدخال الحصان إلى المدينة التى كانت قبل لحظات منيعة ، لتزول عنها مناعتها وتنهدم حصونها بتلك الحيلة ، ولتفتح طروادة أخيرًا ، فتح بلون الدم ، فاستحر القتل عن آخره ، وغدا الطرواديون جميعًا تحت سيف الموت وحدّ الرق ، فقُتل الملك الضعيف الذى أضناه الحزن وأوهننه حرب سنين عجاف ، أخيرًا ينام بريام نومة أبدية .. يرقد حيث لا قيام فى الدنيا ولا هموم ولا أحزان .. فكم تمنى ذاك الموت ، كم تمنى لقاء هكطور ، وأبنائه جميعًا الذين قضوا نحبهم فى تلك الحرب التى تطاير غدرها شررًا مستطيرًا ..أخيرًا يرقد بريام حيث لا قلق ولاهمًّ يقض مضجعه .. حيث لا بكاء ولا حزن يفتت كبده ويمزق أحشائه .. لقد تأخر هذا الموت كثيرًا .. هكذا ظنه الملك بريام .. فكم انتظر هذا الموت منذ أمدٍ بعيد ، ولكنه يأتى فى موعده بالتمام .. لا تقديم ولا تأخير..

يُقتل الرجل أمام أهله ، ولعل مراد هوميروس هنا بموته أن يُكفر عنه خطيئة الرمى بابنه البكر فريسة للسباع والضوارى ، أو هكذا شاء بروعة فنه وجزالة أسلوبه ورشاقة قلمه ، لعله أراد أن يقدم النصح إلى بنى البشر... لن تُدفن خطيئة أبدًا ، لن يطويها الدهر أو يُنسها الزمن ، بل الجزاء العادل ينتظر صاحبها وإن طال الدهر ، حتى الزوجة المقتولة من قبل ألف مرة لابد لها من جزاء عادل أيضًا على قسوة قلبها .. على أن طوّعت لها نفسها ومال هواها إلى التخلص من الإبن لحمًا طريًا ، صغيرًا بلا ظفُر ولا ناب .. فسيقت ضمن الإماء لتخدم فى بلاد الإغريق .. ومعها ابنتها المباركة كاسندرا ، تلك التى أغرقت فى الضحك فى عمق المأساة ، إنه لضحك يبعث الأسى فى نفس الأم إلى أساها .. ويؤجج حزنًا إلى حزنها .. ما الذى يُضحكى يا بنيتى ؟! أتضحكين على مقتل إخوتك وأبيك ؟! أم على خراب وطن تربيتى فيه صغيرة وتنبأتى فيه وله كبير ة ؟! أم على سوقك وأمك سبايا ؟ !.. ولكن كاسندرا تطلق الحقائق المدوية لتترل على قلب أمها بردًا وسلامًا .. لتقص عليها من ذاك النبأ عجبًا .. " أماه .. ليس حظ هؤلاء الغزاة المنتصرين بخير من حظ أبطالنا .. ها أنذا أقرأ ألواح القضاء .. انظرى ها هو ذا مصرع أجاممنون بيد زوجته كليتمسنترا العاشقة ، إنها تفضل اليوم ذراعىّ إيجستوس الآثم على جنة يكون فيها زوجها ، إنها ستقتله ، ستذبحه بيديها ، حينما تطأ قدماه أرض الوطن !

وانظرى يا أماه .. ها هو ذا أودسيسوس تعصف به الريح ويلعب به الموج ويؤرجحه البحر اللجى ، والعشاق يتقاتلون من حول زوجه ، وتليماك المسكين يضطرم غيرة ولا يستطيع أن يفعل شيئًا..

وانظرى يا أماه .. ها هو ذا منلوس .. بائس ، كم أنت بائس يا منلوس ، لقد ظن المسكين أن هيلين نقية كما هى ، لقد نسى الشقى أنها تقلبت فى أحضان أزواج غيره .. انظرى إليه

يقذفه البحر إلى شطآن مصر ، وانظرى إليه ذليلاً بين يدى هيلين يتوسل إليها وكان أحرى لو أنه قتلها " ..

تلك هى أنباء هذا الجيش ، وتلك هى نهايات أبطاله الصناديد ، فضلاً عن أولئك الذين قضوا نحبهم تحت أسوار طروادة ، فضلاً عن تلك الخسائر الفادحة التى تكبدوها .. خسائر مادية ، وأخرى بشرية ، أما تلك التى لا تعوض أبدًا ، فهى الخسائر الأخلاقية والقيمية .. فتلكم هى الخسارة الكبرى التى يُسكب لأجلها الدمع وتنهمر لأجلها الدماء .. لتنتهى المعركة ، ويُسدل هوميروس الستار على الأحداث والرجال معًا ، ثم ليستكمل رؤيته الفلسفية وطعومه الأدبية فى رحلة أ وديسيوس من شواطئ طروادة ، إلى حيث المجهول .. حيث ينسج بها هوميروس خيوط رائعته الخالدة .. الأوذيسة..

الفصل الثانى

جدل الألوهية والحرب والسلام
قراءة فى الأوذيسة...

تتحد الأوذيسة مع قرينتها الإلياذة فى البناء الأدبى والأسطورى إلى حدٍ بعيد ، كما يتحدان أيضًا فى بعض الأفكار الفلسفية سواء بتطوير وتدعيم رأى قديم أو بإضافة آراء أخرى جديدة أو بتطوير نظرية فلسفية شابها النقص مثل تعديل نظرة هوميروس للألوهية ، تلك التى شابها النقص المعيب فى الإلياذة فحاول تقديم بعض الإصلاحات وإدخال بعض التعديلات عليه ا فى الأوذيسة ، لكن يظل سبب تأليف الإثنين واحدًا ، إنها حرب طروادة التى حبس عندها التاريخ أنفاسه ، وتنفس فيها الموت صباح الدجى وقطر من حدَّ سيفه المنايا ، إنها طروادة بأسبابها ، بذات أشخاصها هى هى فى الأوذيسة ، إنها تمثل استمرار تبعات الحرب الكبرى ، تلك التى بدأت من لدن تفاحة باريس ونبؤة كاهنة معبد دلفى واختيار باريس لفينوس (ربة الجمال) وإعطائها التفاحة مؤثرًا لها على حيرا ومينيرفا وكلاهما أشد بطشًا من فينوس ، هذا الإختيار الأول هو الذى جرَّ على طروادة كل هذه المتاعب ، هو الخيط السحرى الذى نسج حوله هوميروس قميصه القصصى الأسطورى السحرى الذى يستلب العقول والمهج ، لذا نجد بعض الآلهة يقفون عبر الإلياذة فى صف الطرواديين ، فى حين يقف آخرون فى صف الهلينيين (هيلاس) ، فى تصوير بارع أدبيًا مرذول فلسفيًا وعقائديًا ، قد أفلح هوميروس فى تقديمه لمتذوقى الأدب اليونانى.

والأوذيسة هى إحدى الحلقات المتممة للإلياذة ، فما أن فُتحت طروادة بحيلة أوديسيوس (أوليسيز الإلياذة) باختراع الحصان العظيم الذى اختبأ فيه مع الأبطال الهيلانيين الصناديد ، حتى دخل الهيلانيون طروادة وأخذوا فى سلبها ونهبها ، فمنهم من إكتفى بما سلب وغنم وغادرها إلى بلاده سالمًا ، ومنهم من رفض الخروج وكان فيهم جند أوديسيوس، حتى جمع الطرواديون صفوفهم ووحدوا شملهم ثم كروا عليهم حتى طردوهم إلى البحر لا يلوون على شئ.

هذه هى الفكرة القصصية الرئيسية فى الأوذيسة ، والتى حاك حولها هوميروس ببراعة فائقة العديد من الأساطير الأ خرى كنوع من حسن الغزل الأدبى ربما ، أو ربما ليسوق موقفه الشخصى من بعض القضايا كرفضه للحرب وشوقه للسلام ، أو رفضه للظلم وشوقه للعدل والقانون أو تقديم بعض الآراء الفلسفية بنسيج قصصى لا يخلو من المتعة والتشويق

لذا فإن أوديسيوس هو بطل الإلياذة الأوحد ، الذى حاول من خلاله هوميروس تقديم بعض الرؤى الفلسفية كفكرة الإيمان بالقضاء والقدر والتنجيم وتعديل نظرة الألوهية والتحدث كثيرًا عن الأصول الشرقية للفكر اليونانى ممثلاً فى الإلتقاء الحضارى والجغرافى عبر البحر بين مصر واليونان وغير ذلك من أفكار أراد تقديمها فى ثوب أدبى رفيع لا يخلو من الطرفة والروعة فى آنٍ .. كما لا يخلو من البطولة والفداء وحب الوطن..

لقد كان أوديسيوس وآخيل وأجاممنون فى قلب طروادة دفاعًا عن الوطن ، ودفاعًا عن الشرف ، إنهم ذهبوا لتخليص بلادهم من عار ألحقته بهم "هيلين" الجميلة الخائنة ، تلك التى هربت مع "باريس" العاشق الآثيم ، ومن ثَمَّ فحربهم الآن مقدسة تحمل وجهين عظيمين من أوجه التضحية ، الدفاع عن الوطن .. والذود عن الشرف.

والقضيتان لهما عبق تاريخى فى بلاد اليونان ، ولهما مكانة كبرى لا يمكن تجاهلها ، ومن ثَمَّ كانت طروادة ، وكانت تبعاتها.

لقد طُرد أوديسيوس وجنده من طروادة بعد أن فُتحت لهم ، يمموا وجوههم شطر البحر ، ليقص علينا هوميروس من ذاك النبأ عجبًا.

تيه من ورائه تيه .. وظلمات من فوقها ظلمات .. ليالى حالكة ، نهارها أغطش من ليلها ، وليلها أطول وأسود وأعمق من قاع البحر ، هكذا كانت حياة أوديسيوس فى البحر هو ورفاقه ، ذاك الحال الأليم الذى رقت له الآلهة وعلى رأسهم مينيرفا "ربة الحكمة" فكل شئ يُصنع على عينها ، هى التى توسلت إلى أبيها "جوبيتر" (زيوس) العظيم ، ليتدخل بقوته

وعنايته لينقذ أوديسيوس ، ذاك الذى يسكن عند عروس البحر كاليبسو ، حيث أرادت كاليبسو أن تستميل قلبه وتغريه بجمالها ورغد عيشها فى جنة الخلد ، ولكن القلب مشوق إلى الولد والزوجة والوطن .. شوق إلى تراب الماضى السحيق ، عباب الطفولة النادى ، وهى التى تذهب إلى تليماك .. الإبن الوفى .. لتشد من أزره وتبعث فى صباه نخوة الرجولة ، وتؤيد مسعاه بحثًا عن وا لده ، تهيئ له الأسباب ... تكتنفه برعايتها ، وتسدل عليه عطفها وتلحظه بعينها.

وهوميروس يضعنا أمام مشهدين متقابلين ليبرز قيمة أحدهما وعار الآخر .. المشهد الأول مشهد بطل دافع عن شرف مدينته وكاد أن يقضى فى ساحة الوغى ، لولا عناية الآلهة به ، والمشهد الآخر مجموعة من الفسقة الفجرة ، العشاق الآثمين ، الذين يرتعون فى قصر ذاك البطل ويأكلون مال ولده ويطعمون فى زوجته دون مراعاة أنه ما ذهب إلا دفاعًا عن وطنه وصونًا لشرفهم ، ولكنهم لا وطنيون ولا شرفاء.

لقد طوقوا قصر البطل ، عرضوا أنفسهم على "بنلوب" تلك الزوجة الوفية التى مزقها البعد وفتتها الشوق وأضناها الحزن والسهر وقضى على بقية جمالها الهم والفكر .. أرادها كلُ منهم زوجة له ، وهى إفلاتًا منهم ومن إلحاحهم وانهيار أخلاقهم وضمائرهم ، وعدتهم بأنها ستنسج ثوب زفافها وفور الإنتهاء من غزلها ستختر أحد هؤلاء الفسقة زوجًا لها ، وا صطبر العشاق وطال صبرهم دون أن تتقدم بنلوب خطوة واحدة فى صناعة الفستان ، إنها كانت تنقض بالليل ما تصنعه بالنهار لتتنصَّل من وعودها ، ولكنهم ظلوا على فسقهم وشرودهم وبغيهم ، يأكلون من خير أوديسيوس ، ويهتكون عرض بيته ، ويستحلون تراث ولده الوحيد " تليماك" .. وكم غضب تليماك من هذا الوضع المشين ، كم استعان بالآلهة على هؤلاء الفجرة ، كم صرخ فى وجوههم وأسمعهم ما لا يرضى .. لكن لا حياة لمن تنادى ، فقد تبلدت أحاسيسهم وماتت مشاعرهم ومن ورائها ضمائرهم وأخذت مينيرفا تشد من أزر

تليماك ، فبدت له على صورة آدمى جميل ، وكثيرً ا ما كانت تظهر لمن تريد على أى شكلٍ تريده أو تراه مناسبًا ، فمرات تبدو على شكل طائر ، وأخرى على شكل فارس يسمى "منطور" وثالثة على شكل فتاة جميلة ، ورابعة وخامسة ومائة ، لم يكن لها شكل محدد عبر الرائعتين ، الإلياذة والأوذيسة ، أخذت مينيرفا تصب من نصحها وجلد ها وقوتها فى روع تليماك " لم لا تبحث عن أبيك .. أبوك حى يرزق .. اذهب إلى اسبرطة .. اذهب إلى أى مكان .. المهم ألا تعود إلا ومعك من خبر أبيك النبأ اليقين"..

وسرت الشجاعة والإحساس بالمسئولية فى عروق تليماك .. نعم ، علىَّ أن أعرف الكثير عن أبى .. أبى خير أبناء إيثاكا ، ملكهم المقدام ، وشجاعهم المغوار ، آه لو عدت يا أبى لتطهر شرفك من أولئك الأوغاد، وتُعيد الفرحة البسمة إلى بيتك الصغير الدافئ كما كان.

وأخذت الأمنيات تداعب رأس الصبى ، وتجهز سرًا برعاية مينيرفا العظيمة وتوجه إلى جزيرة قريبة منه ليلقى بها منطور العظيم فيسائله عن أبيه ، ويقص عليه منطور من ذاك النبأ ، حيث نجى الميرميدون وأبحروا سالمين إلى أوطانهم بقيادة نيوبتوليموس ، وكذا نجى أجاممنون وليته ما نجى ، فقد قتلته زوجته وعاشقها الأثيم " إيجستوس" وفاز ديوميد فوصل بجنوده سالمًا إلى آرجوس ، ولكن والدك أوديسيوس قد ضل سبيله فى عباب البحر.

ويوجه منطور النصح إلى تليماك بالذهاب إلى منلوس فقد يكون لديه الخبر اليقين عن والده فتوجه تليماك إلى اسبرطة لمقابلة الملك "منلوس" ، حيث وجده يجلس وإلى جواره زوجته "هيلين".. تلك العاشقة فاتنة السحر التى قامت لأجلها طروادة بالأساس ، تلك التى تسببت فى فيضٍ من المصائب والأهوال لا حدَّ لهما ، ولكنها عادت إلى رشدها مبررة سوء صنيعها وهروبها مع باريس العاشق المضل ، بأن "فينوس" (ربة الجمال) قد سحرتها عندما وعدت باريس أنها ستهبه أجمل غادات هيلاس إذا هو قضى لها بالتفاحة ، ولكنها ندمت على سؤ

صنيعها واعترفت بخطئها .." واخجلتاه ! لقد أذرى بى أن أفر راغمة فأهجر فراشى الطهور وطفلتى اليافعة إلى بلادٍ قاصية لا ناقة لى فيها ولا جمل" ...

ولا يبدو هوميروس هنا ناقضًا لسبب الحرب أو ربما للحرب ذاتها بقدر ما أراد أن يرسخ فى الأذهان فكرة الحرب للوطن والحرب للشرف لا أكثر ، وتأكيدًا لتلك الفكرة ينسج بخياله البارع قصة العشاق العرابيد لزوجة أوديسيوس ، ثم فى نهاية المطاف ومحط رحال الأوذيسة يذكر كيف انتصر أوديسيوس لشرفه ، كيف انتقم للقيمة وثأر للمبدأ ، ذاك كان مراد هوميروس.

ويقص منلوس على تليماك من نبأ ما قد سمعه عن والده ، حيث أنه يقطن جزيرة عروس الماء "كاليبسو" لا يجد مركبًا يؤوب عليه إلى وطنه ، ويظل تليماك فى ضيافة منلوس حيث أحسن ضيافته ووفادته ، فى ذات الوقت الذى أمهر البحارة والقناصين خلف تليماك ليقتلوه ويتخلصوا من لومه لهم ووخزه لضمائرهم إلى الأبد ، وليخلُ لهم وجه أمه لمحبوبة الفاتنة ، التى ما برح أحدهم إلا وهو يغازل طيفها ، أو تراود نسماتها أحلامه ، ولكن مينيرفا تكلؤ تليماك بعنايتها ، وترعاه بقوتها ، فتطمئنه من عودته سالمًا غانمًا ، كما تبشره بقرب هلاك أعدائه ، بذا قضت المقادير " لا يحزنك خبال أعدائك فقد أ وشك القضاء أن ينقض على رؤوسهم فيحطمهم" ..

ثم تنجح مينيرفا فى مسعاها لدى والدها (زيوس العظيم) فى مجلس الآلهة ، لتقتنص منه وعدًا بعودة أودسيوس سالمًا غانمًا ، بل وأكثر من ذلك تستخرج منه رسالة إلى كاليبسو عروس الماء بأن ترسل أوديسيوس على ذات ألواح ودسر ، تجرى بأعين سيد الأولمب .." هرمز! هلم يا بنى إلى عروس الماء الشقراء كاليبسو برسالاتى؟ مرها أن ترسل أوديسيوس على رمثٍ وحده ، لا أنيس له من إنسٍ ولا آلهة ، فليلق الأهوال الطوال حتى يصل إلى شيريه أرض الفيشيين ، ملوك البحار وأصهار الآلهة ، فليزودوه بسفينةٍ وزاد وذخيرة من أحمالٍ من ذهبٍ

وديباج ، وبكل ما تشتهى نفسه مما يفوق نصيبه الذى حصّله من أسلاب إليوم ، لو عاد به غير منقوص إلى أرض الوطن ، ثم ليبحر سالمًا إلى إيثاكا ، بذا قضت المقادير أن يؤوب ، وأن يستعيد سلطانه وصولجانه ، وملكه وإيوانه .. ويلقى بعد طول النأى خلانه"..

ولكن كاليبسو تضيق بالأمر ذرعًا ، لقد أحبت أوديسيوس وتعلق قلبها به أيما تعلق ، لقد عرضت عليه الخلود والزواج منها ولكنه يأبى إلا الوطن .. أتقضى الآلهة بإنقضاء حلمها اللذيذ الذى عاشت فيه سبع سنوات أو يزيدون ، أبذا يكون القدر .. لقد سخطت أشد السخط .. " أنتم هكذا معشر الالهة ، تقضون على أى حلم جميل فى مهده ، تفرقون بين القلوب إذا عشقت ، وبين الأبدان إذا تلاصقت " ، ولكن لا حيلة لها ولا سبيل إلا إمضاء القدر وإنفاذ القضاء ، هكذا يحتل الإيمان بالقضاء والقدر المكانة الكبرى لدى هوميروس ، لقد أفضت كاليبسو إلى أوديسيوس بأن كل ما يحدث هو من قضاء الآلهة ، .. " سأزودك بكل ما يكفيك من طعامٍ وشراب ، وسأمدك بأثواب جديدة تقيك الحر والبرد ، وسأسخر لك الريح تهديك إلى بلدك البعيد ، هذا قضاء من آلهة السماء التى تُقدر فتعدل ،وتقضى فلا يُرد لها قضاء"...

وعقيدة الجهاد لأجل الوطن ، والحنين إلى الوطن ، من أهم ما يشغل هوميروس ، ومن أبرز القضايا التى حاول تسطيرها بروعة فنه ، لقد عرضت كاليبسو الخلود والنعيم المقيم على أوديسيوس ، ولكنه أبى إلا الوطن ، فصرَّح لها رادًا على إغرائها له بالجمال والفتنة : " أيتها الربة المخوفة! هوِّنى من حفيظتك : فأنا أعلم أن بنلوبى العزيزة لا تزن من جمالك وفتونك مثقالاً لأنها هالكة ، ولأنك من الخالدين ، بيد أن الذى يصيبنى هو وطنى .. وطنى الحبيب الذى أحنُ إليه وأهيم به ، وفى سبيل العودة إليه لن يُخيفنى هذا اللج المتلاطم ، فلقد بلوت الأعاصير فى البر والبحر ، فى خبار المعمعة ، وفى الفلك تحت كلكل الزوبعة ، إلىّ، إلىَّ يا خطوب ، وأقدمى بكل حولك يا رزايا.."

هكذا أنطق هوميروس أوديسيوس ، لتسرى تلك النزعة ، حب الوطن .... فى طريق أكثر ذاتية وأشد عنصرية فيما بعد عند أفلاطون وآرسطو فى دولة المدينة وفى التعصب للسادة ضد العبيد ، وكذا التعصب للجنس اليونانى على غيره من الأجناس.

ويخرج أوديسيوس من لدن كاليبسو ميمّما شطر البحر ، لكنه لم يسلم من الريح ، تلك التى تهب فتقلب قاربه الصغير مرات ، وتكاد ترديه هو تارات ، ثم ما يلبث أن يعود إلى سطح الماء بقوة خفية ، لعلها مينيرفا ، أو لعلها قوة الآلهة التى وعدته بالعودة سالمًا إلى وطنه ، وظل هكذا يصارع الرياح والموت ، ويفر من أبواب الموت الموصدة حتى يصل إلى شاطئ الفياشيين ، وشاءت الأقدار التى عادة ما تتدخل فتُغير مصير كل شئ رغمًا عن أنف أى شئ ، والتى يصيغها هوميروس ببراعة وتشويق لا ملل فيه ، حيث تذهب الأميرة الجميلة (نوزيكا) ، ابنة ملك الفياشيين إلى النهر مع وصيفاتها لأداء بعض الطقوس الرياضية والجمالية ، فترى أوديسيوس ، فتسوقه معها إلى المدينة وتدله على قصر أبيها الملك ألكينوس، حيث أعجبت بأوديسيوس أيما عجب ، وصرحت بهذا الإعجاب لوصيفاتها .. " يا صويحبات لقد شككت فى حال هذا الرجل أول الأمر ، ولقد حسبته آفاقًا من رعاع الناس ، لولا أننى أثق أن الآلهة لا تسوق إلى بلادها الحبيبة هذا الصنف من البشر ، أما هو الآن فلشد ما يشبه أرباب السماء ! أواه ! لوددت أن يكون لى زوج فى بهائه وحسن سمته ، على أن نبقى آخر الدهر هنا".

هكذا ملك أوديسيوس عليها قلبها بمثل ما ملكه على كاليبسو من قبل ، ياله من بطل فى الحرب ، يغزو البلاد دفاعًا عن وطنه وشرفه ، ويغزو القلوب بقوته وشجاعته.

وتتدخل مينيرفا كعادتها لحماية البطل ، فتنشر حوله سياجًا وظلالاً فى طريقه إلى المدينة حتى تحجبه عن أعين الناس ، وأحسن الملك استقباله ووفادته ، وأكرم ضيافته ، فصبوا عليه الماء صبًا ، وأشبعوه من الطعام والخمر زادًا وريّا ، ثم جلس إليه الملك وزوجته وأبناؤه .. يُصغون

إليه ، يتلمسَّون من أنباء ذاك الغريب الذى تبدو فيه سيم الأكابر والملوك على م ا يبدو عليه من تعب وإضناء المسير أيضًا ، وأخذ أوديسيوس يُنبئهم من أمره عجبًا.

لقد وفد إلى عروس البحر كاليبسو الجميلة ، وظل فى ضيافتها سبع سنوات ، وفى الثامنة تدخلت يد العناية الإلهية فى قضاء زيوس بأن تطلق سراحه ليعود آمنًا إلى وطنه ، ولكن سفينته تحطمت ، ويا لأكثر ما تحطمت عبر عباب البحر وغيابات ظلماته ، إلى أن تمكن من السباحة إلى شاطئهم ، حيث لقاء ابنتهم الأميرة الفاتنة ، وحيث أتى إلى قصر الملك المنيف.

ويتكرر العرض مرة أخرى على أوديسيوس ،فملك فياشيا يعرض عليه الزواج من ابنته الفاتنة .. الساحرة .. الأشبه بعرائس البحر وملكات السماء .. وأن يعيش فى رحابه كأحد أبنائه ، له من نعيم الملك ومترفات الحياة وسحر الطبيعة الخلاب .. ولكن أوديسيوس يعتذر بمثل ما اعتذر إلى الجميلة كاليبسو من قبل ، إذ لا طاقة له على البعد عن وطنه ، لقد أضناه الشوق ، وأجهده المسير ، وأتعبه الحنين إلى تراب إيثاكا.

ويقيم الملك حفلاً أوليمبيًا احتفالاً واحتفاءً بأوديسيوس ، يقوم فى وسطه خطيبًا .. " يا معاشر الفياشيين ، هذا الغريب شرّق وغرب ، عانى الويلات والأمّرات ، ذاق الأحزان والهوان ، ثم لجأ إليكم ، فأكرموا مثواه ، كعادتكم فى إكرام الضيفان ، أ بلغوه إلى وطنه آمنّا ، فذاك لعمرى هو مناط الرجال"..

وما إن انتهى الملك من كلماته حتى غنى المنشدون ، ورقص الراقصون ، وتبارى اللاعبون فى الألعاب الرياضية ، فانبرى لها المهرة ، وصفق لها الجمهور بحرارة ، ولكن أحد أولئك الأبطال واسمه يويالوس يطلب من أوديسيوس ا للعب والمبارزة ، ولكن جسدًا مزقه الحزن أنىَّ له اللعب.. فتته الهم ، أنىَّ له الفرح . ولكن يويالوس يسخر من أوديسيوس ، يظنه راعيًا فقيرًا لا علم له ولا مهارة ، يصيح به .. " كلا أيها الصديق معك العذر ، فسيماك لا تُنبئ عن

رجل رياضى ، بل أكبر الظن أنك من رجال الأعمال أو حفظة المخازن .. أو إن لم يخب ظنى ، من أدلاء السفن فى الثغر ، ومن يدرى ، فقد تكون عيَّارًا أو قرصانًا".

وأغضبت تلك الكلمات أوديسيوس فقام ونفض عنه عباءة الوهن ، وتدثر بالشجاعة وهى أعظم دثار عنده ، ولعب وبارز وفاق الجميع ، فتهلل له الجميع ، وكادوا يتساقطون فرحًا وإعجابًا بهذا الضيف الذى يبدو عليه الوهن ، ولكنه فى الحقيقة بطل لا يُشق له غبار ، فاعتذر إليه يويالوس وقدم له الهدايا والعطايا ، وعاد الجميع إلى الفرح والإنشاد

وما هى إلا ساعات ويأمر الملك زعماء القوم ووجهائهم بإحضار العطايا والهدايا للوا فد الغريب كى يبحر إلى وطنه ، ثم يدركهم الليل فينامون ثم يقومون فى اليوم التالى لذات سابقه ، فيجتمعون ، ويشربون ويطعمون ويلعبون ، ثم ينادوا على المنشد الإلهى فينشد لهم ، ولكن المنشد ينشد هذه المرة عن حرب طروادة ، عن شجاعة أوديسيوس وحيلته ، عن الحصان الجبار ... عن الميرميدون وآخيل البطل.. يا له من تاريخ ، ويا لها من أحداث.

ويبكى أوديسيوس ، ويا للرجال حين يبكون ، لقد ألهم الشاعر والمنشد فيه ذكريات الماضى القريب ، بطولته النادرة التى سيسجلها التاريخ ويقف أمامها انبهارًا وإعجابًا ، وبطولة منلوس ، وآخيل البطل الذ ى قضى نحبه ، ويخفى أوديسيوس دمعه من وراء حجب صنعها بستار رقيق وضعه على رأسه ووجهه ولَّما لاحظ الملك تكرار بكائه عند ذكر طرادة توجه إليه بالسؤال : من أنت أيها النازح الغريب ، وما اسمك ، ولماذا تبكى عند ذكر أحداث طروادة ، أنبئنا بالنبأ قبل أن يُبحر بك رجالى ، وإنه لنبأ فيما يبدو عظيم.

ويُمسك أوديسيوس دموعه ويكفكف همومه ويمزق صمته بالقول : أيها الملك الكريم، أنا أوديسيوس بن ليرتس المعروف فى السماء بالدهاء والمكر ، أنا ابن إيثاكا العزيزة ، أنا الذى فتحت طروادة بحيلتى ، أنا صاحب الحصان الضخم الذى كان سببًا فى فـتح إليوم ، ثم ليقر جفن الملك ، فأنا أنبئك بتأويل ما لم تسطع عليه صبرًا.

لقد فتحنا طروادة ، وانتصرنا لشرفنا ، وأبى جندنا إلا البقاء على أرضها ، فاجتمع لنا القوم ، ووحدوا صفوفهم من جديد ، فهزمونا وطردونا ، فخرجنا إلى البحر لا نلوى على شئ ، فحدق بنا الهلاك من كل جانب ، ورأينا المنايا تتصارع على جندنا ، وأصبح كل مكان نحط فيه محاطًا بالموت .

ويمضى أوديسيوس فى سرد تلك المآسى التى تخر لها الجبال هدًا ، فالعواصف تطيح بالسفن يُمنة ويُسرة ، كلما نجوا من موجٍ فاجئهم موج آخر كالظلل، إلى أن استقروا على جزيرة "سيتيرا" فنزل عليها رجاله بأمر منه ، وأكلوا من زهرة اللوتس العجيبة التى كانت تسحر من يأكلها وتسلبه التفكير فى وطنه وفى غيره ، ولكن أوديسيوس يحملهم قسرًا إلى السفائن ليضرب بهم من جديد فى عرض البحر إلى أن وصلوا إلى أرض المردة الجبابرة – السيكلوب – الطغاة الأشداء ، الذين تؤتى أرضهم أكلها رغدًا من غير كدٍّ ولا عناء ، وحيث جزيرة مقابلة لهم على الشاطئ الآخر من البحر ترعى أنعامها السائمة فى تألق وجمال وبهاء يشدو بعقول الناظرين ، إنها جزيرة لم تطأها قط قدم إنسان ذى قبل ، ينزل بها أوديسيوس ورفاقه ، أعملوا فى تلك الأغنام والأ نعام السائمة أقواسهم ونبالهم لينالوا منها طعامًا شهيًا ، ثم أمر أوديسيوس رفاقه بالبقاء فى هذا المكان حتى يذهب إلى الجزيزة المقابلة ليرى ساكنيها ، هل هم من يرحبون بالضيفان أم هم مردة سفاكين للدماء .. وأخذ نفرًا من أصحابه وذب إلى تلك الجزيرة ليجد بها السيكلوب .... مخلوق وحشى ، أقرب إلى الجن منه إلى الإنس ، دخلوا كهفه ومغارته المخيفة ، لم يجدوه .. فربما كان يرعى قطيعه اللامعدود من الأنعام ، وما أن جنّ الليل حتى عاد السيكلوب الجبار ، فيسد باب كهفه بصخرة لا يقدر على زحزحتها عشرون ثور ، ثم يأخذ فى حلب شياهه ونعاجه ، وكان يقتسم لبن تلك الشياه والنعاج نصفين ، نصف لشربه ،ونصف لجبنه وزبده.

وما أن نظر فى ذروة كهفه حتى وجد أوديسيوس ورفاقه ، صاح بهم بصوته الأجشّ الذى تضطرب الأرض من هوله ، من أنتم ؟ ولماذا جئتم إلى هنا.. ويستجمع أوديسيوس ما تبقى له من أعصابٍ فى جسده وبقية من آثار قوة فى صوته ، ليقول له .. " نحن إغريقيون أيها العزيز ، وقد ذرعنا البحر اللجى مشرقًا ومغرباً ، وتقاذفتنا فوقه كل ريح ، منذ بارحنا إليوم التى فتحها الله علينا ، لأننا من عساكر أجاممنون الملك ، ابن أتريوس الكريم ، قاهر طروادة ، ومبيد الطرواديين ، وها نحن أولاء قد لذنا بك بعد طول النصب ، فنضرع إليك أن تفئ علينا مما أفاء جوف عليك ، أن تردنا غانمين ، فيا مولانا أكرم مثوانا ، نحن الأغراب فى كنف جوف أبدًا ، وأينما نوَّل فإنه معنا"...

وظن أوديسيوس بذلك مودته ، ولكن السيكلوب الجبار لم يكن يعبأ بالآلهة ، كان يظن نفسه أقوى منهم ، هكذا صرَّح علانية لأوديسيوس ، وكم كان هذا السيكلوب مروعًا بحق ، إنه يمسك كل يوم باثنين من رفاق أوديسيوس ، ينثرهما إلى السماء ، يخرا إلى الأرض وقد تفرق العظم من اللحم ، يقذف ضحاياه فى النار ، يشويهما وينضج لحومهما ، يشرع فى أكلهما دون أن يبقى عظمة واحدٍ ، يا له من متوحش لم نسمع عنه سوى بالأساطير فقط ، يا له من كائن خرافى شذ عن كل فطرة وكل شرع ، لكن حيلة تدور برأس أوديسيوس ، لقد فكرّ ودبَّر ، أعطى السيكلوب خمرًا لذيذًا أسكرته ، حتى إذا غط فى النوم ، أوقد أوديسيوس ناراً على عمودٍ من حديد ، ثم قذفه فى عينه وقد كان له عينًا واحدة فأعماه ، ولم يفلح السيكلوب بوليفيم بضجيجه وعويله وصوته الصاخب أن يفعل شيئًا ، انفجر الدم من عينه ، صاح صيحات هزت أركان كهفه ودوت فى غياهب صمته .... استعدى أصدقائه و إخوانه من السيكلوبيين ، والذين نصحوه بأن يستعدى عليه أباه نبتون الجبار ، إله البحار ، وكان هذا هو سر عداء نبتون إله البحار لأوديسيوس ، ذاك العدء الذى جرِّ على أوديسيوس تيهًا وضلالاً دام فى غياهب البحار لعشر سنوات.

وفكر أوديسيوس ودبرّ كيف يخرج بأصدقائه سا لمًا من ذاك الكهف حيث يجلس على بابه بوليفيم الجبار ، فاختار أسمن كباش السيكلوب ، وجعل يربط على بطن كل واحدٍ منها أحد أصدقائه ، ويجعل الكبش الذى يحمل أحدهم بين كبشين فارغين حتى لا يكتشف السيكلوب تلك الحيلة حيث كان يتحسس قطعانه الخارجة من الكهف واحدًا واحلاً.

وبعد أن نجا أوديسيوس ورفاقه بتلك الحيلة ذهبا جميعًا إلى سفائنهم وأخذوا يضربون فى عرض البحر ، غير أن أوديسيوس لم يشأ أن يغادر دون أن يخبر بوليفيم الجبار باسمه الحقيقى ، فصاح من عمق البحر " يا بوليفيم إذا سألك أحد من أعماك فقل أعمانى أوديسيوس بن ليرتس الإيثاكى... ويحنق السيكلوب أشد الحنق ، ويلقى بحجر تجاه الصوت كاد أن يقلب السفينة التى تحمل أوديسيوس ورفاقه، ثم توجه إلى السماء بصوته الرعدى ..." أبتاه.. نبتون المحيط بالأرض اسمع دعائى ، يا صاحب الشعر اللازوردى ، إذا كنت حقًا أبى ، وإذا كنت حقًا تفخر ببنوتى فاحرم هذا القزم المدعو أوديسيوس بن ليرتس الإيثاكى من العود إلى بلاده إلا أن يكون هذا قضاء فى الأزل ... أقم العقاب فى طريقه ، وشرده طويلاً فى البحر وأغرق سفائنه ، واقبُر فى الأعماق أصحابه ، وأحوجه إلى ذل السؤال وطلب المعونة من الناس ليمدوه بمركب يعود عليه ، و إذا عاد فليلق الهم والغم مقيمين ببابه .. آمين" هكذا يضعنا هوميروس أمام القضاء والقدر وجهًا لوجه ، فبوليفيم يعلم أن القضاء لا مرد له ، فيتوسل إلى أبيه نبتون أن يحرمه العودة إلا إذا قضى القدر بعودته ، فأقل شئ يفعله نبتون فى توسلات بوليفيم أن يشرده فى ظلمات البحار ، وأن يصبغ وجهه بذل السؤال قبل أن يئوب إلى وطنه بحسب إرادة القضاء ، وهو ما استجابه نبتون وظل لأدويسيوس طوال رحلته بالمرصاد.

ثم يبحر أوديسيوس إلى جزيرة الأيوليين ، حيث يلقاه ملكها بالبشر والترحاب ويقص عليه البطل من ذاك النبأ عجبًا ، فيرق الملك لحاله ، ويرسل معه من يصحبه بسفنه إلى بلاده ، بعد أن أضفى عليه من عطاياه ، وأعطاه جعبة بها الريح السموم التى لا تبقى ولا تذر ، جعلها

حبيسة معه حتى لا يخشاها ولا يخشى فى عباب البحر سواها، ونضحه ألا يفتحها حتى يصل إيثاكا آمنًا ، ولكن صدور أصدقائه أوغرت ، ضاقت بما يحدث ذرعًا.. ما لأوديسيوس لا يترل مكانًا إلا وأكرموا مثواه ، وأفاضوا عليه من العطايا وأجزلوا له الثواب ، كيف بنا نرجع إلى بلادنا من طروادة صفر اليدين ، علينا أن نقاسم أوديسيوس فيما أفاض عليه ملك الأيوليين ، وسوَّلت لهم أنفسهم فتح جعبة الريح السموم ، فانطلقت الريح من عقالها وقذفت بفلكم إلى عمق البحر وظلمات أمواجه بعيدًا عن إيثاكا ، الوطن الذى وصلوه بعد كدٍ أو كادوا ، فعادوا إلى الملك وقصوا عليه من نبأ خزيهم وطمع الجند ، فطردهم شر طردة ، فلووا على وجوههم هائمين.

وظل أوديسيوس وجنده يتأرجحون بين البحر والشاطئ ، بين همٍ وفزع ، ضيقٍ ونصب .. همُ فى البحر حيث أمواج عاتية يسوقها نبتون الجبار انتقامًا لابنه السيكلوب بوليفيم ، ثم أقوام بشعى المنظر يغتذون على لحم البشر تكاد النجاة عسيرة ومستحيلة ، ثم سيرس الساحرة التى سحرت أصحابه خنازير ولم يعودوا إلى طبيعتهم البشرية إلا بقوة ودهاء أوديسيوس ، حيث نصحه هرمز بألا يأكل من طعام سيرس أو يشرب من خمرها حتى لا يُمسخ خترِيرًا كبقية أصحابه ، وأعطاه ما يُبطل أى سحر تسحره به سيرس ، وامتشق أوديسيوس سيفه ، ونزع نحوها .. لتستجير به ، وتخر تحت قدميه ، راكعة باكية .. تائبة مستغفرة ، يتعلق به قلبها ، ثم تُرجع له أصحابه على هيئاهم الأولى ، وهكذا يمضى أوديسيوس من همَّ بالبحر إلى ضيقٍ بالشاطئ ، من موجٍ بالبحر إلى موجٍ أشد بالشاطئ .. ولعل مراد هوميروس هنا التأكيد على تلك الهموم التى يعانيها البطل ، ليوصل رسالة إلى قرائه باستحقاق أوديسيوس للبطولة ، فكانت تلك الأحداث جزءًا من الشخصية اليونانية التى اعتقدت السحر والتنجيم فيما بعد خاصة فى العصر الهللينستى.

ويودع أوديسيوس ربة السحر سيرس ، ولكنها تنصحه بالذهاب إلى العالم الآخر ليلقى النبى الصالح تيرزياس ليُنبئه من أسرار الغيب ومطويات الحُجب ... ويستجيب أوديسيوس للنصيحة ويذهب إلى هيدز ، حيث حوض الدماء وأرواح الموتى التى تبدو كالأشباح لا يستطيع أن يلمس أحدهم ، فقط يراهم ، يسمع صوتهم الممزوج بالحزن والهم على ما أضنتهم به الأيام الخوالى من بؤسٍ ويأس ... من حزنٍ وشقاء.

لقد التقى هناك بأمه ، كما التقى بآخيل ، وأجاممنون ، وبروتوكلوس ، شهداء طروادة الخالدين ... ولعل مراد هوميروس هنا إثبات خلود الأرواح ووجود الجزاء المشاكل للعمل فى الحياة الدنيا ، حيث كانت تلك هى العقيدة السارية عند اليونانيين فى القديم وفى الحديث ، من ذلك قول الكاهن منبئًا منلوس.. " أما أنت أيها الملك منلوس فطوبى لك ، إنك ستحيا سعيدًا ، ثم تنتقل إلى دار الخلد ونعيم لا يفنى جنات الإليزيوم .. حيث لا برد ولا زمهرير ، ولا يوم عبوس قمطرير ، بل تسقى ومن معك من الأناسى من ماءٍ معين ، لا لغو فيه ولا تأثيم ، مقام كريم ، وجنة نعيم ، وغادتك الحسان هيلين ، يا ذرية زيوس العظيم " ...

ثم يعود أوديسيوس إلى الحياة الدنيا محملاً بنبوءة النبى الصالح تيرزياس .." إنك ستعود إلى وطنك يا أوديسيوس لتلقى زوجتك الوفية وابنك البائس تليماك ، ستعيش معهم آمنًا رافلاً فى النعيم ، وتموت بينهم موت الآمنين" ..

ويمضى أوديسيوس ورفاقه فى رحلته ، تحذره الآلهة من النزول بجزيرة السيرينات المنشدات ذواتى الجمال الفتان حتى لا ينسى وطنه ، كما تحذره من مكر كائن خرافى يدعى سكيللا ، هو أشد وطأة وجشعًا وقوة من بوليفيم السيكلوبى الذى كان يغتذى على لحم البشر ، فسكيللا المتوحشة ذات الرءوس الست كانت تمد أحد أعناقها فتلتقط ستًا من أجود فرسان البطل ، يتعلقون ما بين السماء والأرض فى فمها المتوحش ، يستغيثون حيث لا مغيث ، يستجيرون حيث لا مجير ، وهكذا يمزج هوميروس الخيال بالحقيقة ليُضفى على فنه روعة

التشويق وعظمة القصص ، ثم يُضفى من قداسة البطولة وروعة التضحية على شخصية البطل أوديسيوس.

وظل البطل ورفاقه فى عناء من وراء عناء ، وذل من فوقه ذل ، وظلمات بعضها فوق بعض ، إلى أن هبطوا جزيرة أرض الشمس ، حيث ترعى القطعان مما أفاء عليها إله الشمس من خيرٍ وفير ، وعلى الفور يتذكر أوديسيوس نصيحة النبى الصالح تيرزياس بألا يقرب هو وصحبه تلك القطعان حتى لا يهلكوا جميعًا لأن ما فيها ملك لرب الشمس ونصح أوديسيوس القوم بمغادرة تلك الجزيرة ، فلا سبيل لهم عليها ولا على ما فيها ... البحر أمامكم ، فاذرعوا فيه أيامًا وليالى آمنين خير لكم من اقتراف جريمة فى حق رب الشمس ندفع ثمنها حياتنا ، فالبحر أكثر أمانًا من تلك الجزيرة التى صنعت على عين ربه الشمس، ولكن يوريلوخوس ، أحد الأصدقاء الذين أفناهم التعب وأرهقهم المسير يصرخ فى وجهه .. "أوديسيوس ، أيها القاسى الطاغية ، أما أوهنت كل تلك الشدائد جلدك؟ أمخلوق أنت من حديد فما ترق وما تلين ؟ أتأبى ع لى رجالك الموهوبين المكدودين أن يرسوا بهذه الجزيرة الفيحاء المعشبة ليريغوا مما بها من آلاء ، وليطعموا من خيرها الكثير ؟ أتصرفنا عنها بترقك وقلة بصرك لنخبط طول الليل فى هذا البحر الأجاج خبط عشواء مع ما تكون الريح عليه حينئذ من شدة وعنف ؟ خبَّرنا أيها الأحمق ماذا نصنع إذا عصفت بنا نكباء من الجنوب تحطم فلكنا فنقضى بها ليلنا ، حتى إذا انفلق الإصباح أقلعنا منها على هدى؟!!

وأيد الرفاق ما قال يوريلوخوس ، وباتوا بتلك الجزيرة ، إلا أنهم لم يكفوا آذاهم عن أنعامها رغم أن أوديسيوس قد أخذ عليهم موثقًا من الله ألا يقربوا ما فيها من شياه وأغنام ، وأن يرعوا حقها حق رعايته ، وأن يتركوها ترعى حيث أفاء عليها ربها ،ولكن الجوع ضغط بسلطانه عليهم بعد نفاد ما معهم من طعام ، فأوردهم موارد الهالكين

لقد ذبحوا من الغنم والشياه أسمنها ، وطار الخبر إلى إله الشمس ، فذًعر وجزع ، وهتف صاخباًمستنجدًا .. " يا جوف العلىَّ ، وأنت يا آلهة السماوات ! إثأرى لما فعل السفهاء من رجال أوديسيوس ، لقد اجترأو فجزروا من نعمى وشائى التى هى بهجتى وأنسى ، والتى أرمقها أبدًا من علياء السماء ، فإن لم تنتقمى لى فوعزتى لأهبطن بشمسى إلى هيدز فأنير آفاقها وأضفى أضوائى على الأشباح ثمة ، وأدع هذا العالم المشرق الجميل يضرب فى دياجير ما مثلها دياجير .. وأجابه رب السحاب الثقال .. " يا إله الشمس على هينتك ، بل ظل مشرقًا على بنى الموتى الدائبين فى تلك الأرض ، وإنى مسخر صواعقى على سفينتهم فى لمح البصر فتذهب بها وبهم أباديد".

هكذا يتدخل القدر فى كل مرة ليقف للبطل ورجاله بالمرصاد .. ولا يترك هوميروس فرصة لإظهار بطولة أوديسيوس إلا ويستغلها أفضل استغلال ، حيث لم يجعل أوديسيوس مع هؤلاء الفسقة المجرمين ، بل كان فى مكانٍ ناءٍ من الجزيرة يغط فى نومٍ عميق، وهم الأثمون وحدهم .. المجرمون وحدهم ... الذين عصوا أمر قائدهم فباءوا بغضبة ما بعدها ولا قبلها .. فقد كانت فيها النهاية.

لقد أوفت الآلهة بنذرها ، ففتحت أبواب السماء بماءٍ منهمر ، وتفجرت الأرض عيونًا فالتقى الماء على أمرٍ قد قُدر ، وهبت الرياح لا تبقى ولا تذر ، وغرقت السفن إلى قاع اليم فتحطمت أخشابها وألواحها ، وتعلق أودسيوس وحده بأحد تلك الأخشاب المهدَّمة ، وظل يصارع البحر ويصرعه تسعة أيام بلياليهم ، حتى قذفته يد العناية الإلهية إلى جزيرة عروس البحر كاليبسو ، تلك التى أحسنت مثواه ، وكانت له عوضًا عما ألم به من لأواه ، فى حين لم تترك ربه الشمس أحدًا ممن استباح أملاكها ، ووفى لها إله البحر والرياح ما وعد من قبل ، فغرقوا جميعًا فلا ترى منهم باقية.

هكذا قصَّ البطل على ملك الفياشيين من أحسن القصص ، وما أن سمع الملك وقومه هذا الحديث حتى أخذهم العجب بأوديسيوس أكثر من ذى قبل ، فقد تعلقت به أفئدهم ، علموا أنه يُرعى على عين الآلهة... تلك التى تتدخل دومًا لنجدته عندما يجد الجد ، يكرر عليه الملك عرضه الأول ، ماذا لو قبلت العيش معنا فى قرة عين لا تنقطع ولذائذ لا تفنى ، ولكن إذ يأبى أوديسيوس لأجل وطنه وترابه ، فالواجب أن يأتى كل رجل من القوم بأ غ لى ما عنده من ذهبٍ ومال وياقوت وكل ما غلا وثُمن كهدية لهذا البطل المغوار ، ثم ليبحر مع رجال أشداء أمناء من أولئك القوم ليصل إلى إيثاكا آمنًا.

ومرت السفينة فى البحر بأمر ربها ، تحفها مينيرفا وتكلؤها الآلهة جميعًا برعايتها سوى نبتون رب البحار ، فلا زال يري د الإنتقام من البطل الذى فقأ عين ولده السيكلوب ، وتجرى السفينة على موجٍ رقيق منساب ، وأوديسيوس يغط فى نومٍ عميق كأنه لم يذق طعمه منذ سنين ، وبينما تسير السفينة وركبها الذى تحفه الآلهة وبركات مينيرفا أيامًا وليالى آمنين ، إذا بنبتون رب البحار يستئذن جوف الع لى ، زيوس العظيم ، كبير الآلهة ، أن يقلب سفينتهم وينسفها فى اليم نسفًا ، فيذرها قاعًا صفصفًا لا ترى فيها عوجًا ولا ردًا ، أو على الأقل ينشئ بدلاً منها جبلاً كالطود العظيم يحول بين أوديسيوس وإيثاكا .. ولكن إرادة زيوس فوق كل إرادة ، وأكبر من أى إرادة ، فقال لرب لبحار " فلتفعل ما تشاء ، ولكن اجعل ذلك على شاطئ إيثاكا حتى يحجب الجبل البلاد عنهم ويكون لغيرهم عبرة وآية" . وما أن وصلت السفينة شاطئ إيثاكا حتى فعل نبتون الجبار فعله ، ياإلهى إنه لا يفتؤ التربص بأوديسيوس ، لم يكفه عشر سنوات حرب ، وعشر أخرى فى ظلمات الب حر ، من ورائها ظلمات الليالى السود الحوالك ، لم يكفه ما ناله الرجل من عنت وتيه ، من حزنٍ وهمّ، من ضيق لم يعتريه الفرج قط إلا على يد الفياشيين... أفيتربص به وبهم ريب المنون!! هكذا قدَّر نبتون ، وهكذا فعل فعلته ، فضرب السفينة فانقلبت كالطود العظيم حاجبًا عنه م المدينة ، وهنا شرع

الفياشيون فى تقديم القرابين لنبتون الجبَّار حتى يساعدهم على العودة إلى بلادهم سالمين ، فى حين أن أوديسيوس استيقظ من نومه العميق ليجد نفسه على شاطئ من دونه جبل يحجب الرؤية .." يا إلهى ، أى شاطئ هذا ، كل شيء يبدو عجيبًا .. لقد وعدنى هؤلاء الكذبة أن ينزلونى على شاطىء إيثاكا الحبيبة ، فلماذا يا تُرى أخلفوا وعدهم؟ !!".. كل هذه الهواجس تدور بذهن البطل ، دون أن يعلم أنه الآن على شاطئ إيثاكا ، بل وعلى بُعد خطوات من قصره المنيف ، من ابنه الحبيب ، وزوجه الوفى بنلوب .. يا للمقادير حين تحن السماء على الضعفاء من بنى الموتى ... يا للسماء حين تسوق التدابير !! وهنا تبدو له مينيرفا فى صورة شاب عليه سيم الملوك ، يسأله أوديسيوس أى البلاد هذه ! ويجيب الشاب بأنها إيثاكا ، ويحاول أوديسيوس المراوغة وافتعال الأقاصيص كعادته إلا أن مينيرفا تقطع عليه الطريق .. دعك من هذا يا أوديسيوس ، فكلانا يمتلك قدرًّا عاليًا من الذكاء ، أنا مينيرفا التى أحاطت بأحوالك كافة علمًّا ... وهنا يطمئن أوديسيوس ويهدأ روعه ، ويقوم بمساعدة ربه العدالة فى إخفاء ما معه من كنوز ولآلئ مما أفاءت عليه الآلهة فى حرب طروادة ، ومما أفاء عليه ملوك الجزر التى حلَّ ضيفًا بها ، أخفى ذلك كله فى مكانٍ ذى علامةٍ وترقيم ، وأضفت حوله مينيرفا سياجًا يحجبه عن الناظرين حتى لا يتعرف عليه أحد من مواطنيه..

أخيرًا الوطن..

يا إلهى .. أيُكتب لى العود إلى الوطن .. ألم أخرج منذ عشرين سنة ذودًا عن حياضه وذبًا عن شرفه .. أهكذا يُكتب لمن يدافع عن الوطن العود الحميد والنصر المبين ، تلك كانت رسالة هوميروس الفلسفية التى أنطقها على لسان حال البطل ، على فرحة قلبه ، وعلى مردود فعله .. يلفظ البطل أنفاسه ، يا إلهى ، هذه إيثاكا ، لكم يحن الفؤاد إلى هذا التراب ، ولكم تمزق القلب من قبل لوعةً على هذا الوطن.. وتتحدث مينيرفا إليه ، تخبره بأن ابنه قد ذرع البحر إلى إسبرطة ليُسائل منلوس عن مصير والده ، وما فعلت مينيرفا ذلك إلا لتشُد

من عود الصبى وتبارك صباه وتسقيه من فتوة الشباب لا أكثر ، ثم نصحته بأن يذهب إلى راعيه الأمين المخلص أولاً ، ليجلس إليه ، وليعد الخطة للهجوم على العشاق الآثمين من هناك ، لكنها طلبت إليه بأن تغير شكله وملامحه حتى يبدو كالشيخ العجوز كى لا يفطن إليه أحد ، فى حين تركته وقد بدا عجوزًا مزقه الهرم وكسته أثماله البالية سمات العجوز، فى حين فرت إلى إسبرطة لتعود بالإبن المبارك تليماك.

ويترل أوديسيوس بهيئته الجديدة – شيخ عجوز طاعن فى السن أوغره الفقر وأذلته الحاجة – إلى راعيه الطيب المخلص يومايوس ، ويكرم الراعى ضيافته على أنه عجوز مسكين ، ثم يقص عليه من نبأ سيده الغائب ما يطمئن به أوديسيوس إلى إخلاصه ، ثم يقص عليه من أنباء زوجته الوفية المخلصة التى ضاقت ذرعًا بالعشاق ولا جدوى ، وابنه الذى ذرع البحار متحديًا أمواجها وسقيع ليلها وبرد نسماها بحثًا عن أبيه الحبيب ،ثم يقص من نبأ الوالد الذى أضناه الحزن وفرقته الهموم حزنًا وكمَدا على ولده إذ هو يضرب فى الأرض تحت أسوار طروادة .. وهكذا علم أوديسيوس كل ما يريده من الراعى الوفى الحنون ، وظل فى ضيافته حتى عودة ابنه تليماك الذى ابتدأ وطنه بمزرعته ... يحن إليه الكلب الوفى ، يتلاعبان سويًا وكأهما فى عناقٍ غزاه الشوق وطول البُعد ، ويدخل تليماك على الرجل العجوز ، يقص عليه من أنباء والده ، ويصارح أوديسيوس ولده بأنه هو الوالد المفقود ويقدم له الدليل على ذلك ، وحيث نفخت فيه مينيرفا من روح الشباب وقوته وبهائه ، فعاد إلى أصله ، ولم يكد تليماك يصدق نفسه . أنا الآن مع أبى ، أبى الذى خضت غمار المخاطر فى البحار بحثًا عنه ، يجلس معى الآن ، بالعناق والشوق يا أبى عناقًا ليس كأى عناق ، فشوقه ليس ككل شوق ، إنه شوق سنين طوال ، شوق يأس من العودة واللقاء ، يشم أوديسيوس ابنه ، يشكر الآلهة أن أولته عنايتها وسار رجلاً هكذا ، ثم ينصح أوديسيوس ولده بألا يخبر أحدًا بما عرف حتى

يدبرا الحيلة للقضاء على العشاق الآثمين ويقترح عليه أن يسوقه إلى القصر ليرى أعدادهم ثم ليرى رأيه..

يأمر تلمياك يومايوس ، الراعى الأمين المخلص ، بأن يأخذ هذا الرجل المسكين إلى المدينة لعله لا يعدم منها قوتًا ورزقًا ، ويسير أوديسيوس مع الراعى إلى قصر الملك أوديسيوس ، فلعله يخدم العشاق ويأكل مما تبقى من طعامهم ، فيدخل القصر المنيف وهو شحاذ فقير ُمعدم ... يا إلهى أهذا هو قصرى الذى غادرته منذ عشرين سنة ، هكذا يصبح وكرًا لتلك الجريمة ، يُلطخ شرفه بهذه الوقاحة ، وما خرجت إلا دفاعًا عن الشرف !! يا للمفارقة ، ما خرجت دفاعًا عنه أجده منتهكًا فى بيتى ، فى عقر دارى ، يا للآلهة ، يا للمقادير..

وأسرَّ أوديسيوس ما رأى فى نفسه ، وأسرَّ تليماك نبأ عودة أبيه ، وأخذ أوديسيوس يقدم لهم الخمر ويشوى لهم اللحم وينظف لهم شرفة القصر، لقد خالطهم ليقف على التقدير الحقيقى للأمر ، ولكنه مع ذلك لم يسلم من آذاهم ، بل لم يسلم من أذ ى شحاذ آخر معدم ، وظل هكذا كاظمًا غيظه حتى تحين اللحظة المناسبة التى تشير عليه بها مينيرفا.

ولَّما عاد تليماك إلى القصر قابلته أمه بلوعةٍ وشوق ، وجلست إليه فى شوقٍ أكبر لسماع أخبار والده إن كان قد ساق القدر إليه منها شيئًا، ويقص عليها تليماك بما لا يروى ا لظمأ أو يشفى العليل ، ولكن تيوكليمنوس ، ذاك المتنبئ الأمين يفاجئها بالقسم قائلاً .. " يا زوج أوديسيوس أعيرينى سمعك! إصغى إلىَّ فسأتنبأ لك! إن ابنك هذا لم يسمع عن أبيه أى نبأ يقين ، أما أنا فقد بدت لى أمارات وشهدت فى السماء علامات ، ومحال أن تكذب علامات السماء .. أقسم لك بجوف العلىّ رب الأرباب ، وأقسم بهذا البيت ، بيت أوديسيوس ، أن زوجك هنا ، وفى إيثاكا ، وهو يعلم كل صغيرة وكبيرة من أنباء العشاق وخباثاتهم ، وإنه ليدبر لهم عقابًا هائلاً لن يفلت أحدًا منهم" ...

وصدق الرجل ، فإن أوديسيوس يجلس على بعد خطوات من زوجته ، يراها وتراه ، ولكنها لا تعلم من أمره شيئًا ... يجلس فى فسحة بيته ، يريد أن يعرف عدد العشاق وقوتهم ومن هم ومن أى البلاد ، كل هذه طوايا خُزنت فى وعى البطل قبل أن يُقدم على عملية الإنتقام

وهنا يسوق هوميروس شخصية راعى قذر له من العناد الصنوف ، ومن الملق والنفاق الكثير والكثير ، إنه ملانتيوس راعى الغنم فى حقل سيده أوديسيوس ، والذى يظن أن أوديسيوس قد قضى وانتهى ، فتحول ولائه إلى العشاق ، إنه ابن يومه ، ولائه للوجود وليس للمبدأ ، فلمّا رأى يومايوس راعى الخنازير وبيده الشحاذ الفقير يتجها إلى القصر غمزهما و لمزهما واعتدى بالضرب على الشحاذ الفير (أوديسيوس)... ضربه ضربةً موجعة فى قدمه ودَّ بها أوديسيوس لو يظهر له على حقيقته ويرديه قتيلاً ، ولكن الموانع أكثر من الحصر ، والضرورة تقضى بتحمل ما لابد من تحمله ، فيمضى الجميع إلى رحاب القصر ، الشحاذ والراعى الطيب ، وسط لعنات الراعى الخبيث.

وكأن هوميروس يريد أن يقدم لنا هنا الفرق بين المخلص والمنافق ، الطيب والخبيث ، فيومايوس وملانيوس كلاهما راعيان ، ولكن أحدهما مخلص للمبدأ فى حين أن الآخر لا إخلاص له ولا مبدأ ، هكذا تتجلى روعة القصّ ومهارة الحكى.

ويتحمل أوديسيوس بذا ءة العشاق واذدرائهم ، يرى سفح ماله فى يم الباطل بعينيه ولا يستطيع أن يحرك ساكنًا ، إنه فى انتظار الإذن ببدء القتال ، ولم تأذن مينيرفا بعد

ويتفق البطل مع ولده تليماك بتخبئة أسلحة العشاق الفجرة فى مكان سرى ، ويستعين على ذلك بمربيته العجوز يوريكليا حتى تحجبهم عن أعين وصيفات القصر ، ويجلس أوديسيوس إلى زوجته الوفية بنلوب ، تسائله عن حاله ومن أى البلاد هو؟ وكعادته فى تلفيق القصص ونسج الحكى يروغ منها فى أقاصيص وهمية أثبت بها هوميروس براعته فى القصّ وسعته فى الخيال ، ولكنه تأكد من إخلاص تلك الزوجة التى ما فتئ لسانها ولا فتر عن ذكر أوديسيوس

، زوجها الحنون ، الذى أخذ الحياة كلها معه إلى طروادة .. سلب منها وجودها حيث رحل .. فانتهت حياتها الحقيقية حين غادرها زوجها إلى طروادة .. إنها لا تنفك عن ذكر أوديسيوس ، وأيام أوديسيوس ، ووصايا أوديسيوس ، وثياب أوديسيوس ، هكذا كا ن البطل هو كل شئ فى حياتها ، هو الحاضر والماضى والمستقبل التعس الذى يقهره البعد ويلوث بياضه الفراق .. ثم تأمر بنلوب المربية العجوز بغسل الشحاذ الفقير وإلباسه من أجمل الثياب لينام نومًا هادئًا تقر فيه العين حتى الصباح .. وهنا تتعرّف المربية على أوديسيوس من ندبة بقدمه أحدثها خنزير وهو صغير ، فكادت أن تصيح بسيدتها تزف إليها البشرى لولا أن أوديسيوس أمسك بفمها وتوعدها إن نطقت حتى لا تفسد عليه حيلته فى القضاء على العشاق ، واستجابت العجوز لرجائه ، فكم تتمنى هى الأخرى القضاء على أولئك الفسقة العرابيد.

وبأبى هوميروس إلا أن يسوق المعركة فى جو من المعجزة التى لا ينسى القارئ أبدًا صداها وروعة قصها ، فبينما العشاق يأكلون إذ تتصبَّب الدموع من عيونهم فتشوى خدودهم ، ثم الدماء تضرج جدران القصر ، ثم تنكسف الشمس وتتوارى بالحجاب ، ليبدو كل شئ وكأن السماء هى التى تولى أمره ، ويكأنها تُعد العُدة لشئ جلل ، فها هى ترسل الصواعق والنُذُر ، وترسم فى قوسها الندى علائم الدمار وأمارات الخزى لكل من طغى وتجبر.

وتسمع بنلوب من خدرها ما يحدث ، فتخرج لتضع حدًا واقعيًا لتلك المأساة التى دامت أكثر من عشر سنوات ، فتُخرج قوس أوديسيوس ثم تتوجه إلى العشاق بالحديث " ها هى ذى يا سادة قوس أوديسيوس ...من استطاع منكم أن يثنيها فيرسل منها سهمًا واحدًا فإنى له " ، وفرح القوم واستبشروا بهذا الوعد الذى لا يمكن نقضه ، إنه وعد صريح ليس كسالفه من غزل الثوب ونسجه ثم نقضه ، ولكن للأسف ، لقد تقدم الجميع فلم يستطع أحدهم أن يُثنى القوس ، وتعللوا جميعًا بظلمة الليل ، ووعدوا بمعاودة المحاولات فى الصباح ، إلا أن

الشحاذ الفقير (أوديسيوس) أخذ القوس وأتاه بكل سهولة ويسر ، وأطلق منه سهمًا يتبعه آخرون وسط تعجب الجميع..أيكون هذا الفقير المعدم أشد منا قوة وأمضى منا عزيمة!!

ثم قضت مينيرفا ببدء المعركة ، فظهر أوديسيوس على حقيقته وساق المنايا على عجل ليحصد العشاق الآثمين حصدًا لا رفق فيه ولا هوادة ولا لين .. لقد قاتل ويكأنه جيش وحده ، على الرغم من معونة خادميه الأمينين وابنه الوفى الحبيب تليماك ، حيث أغلق باب القصر ، وزاد الآثمين عن الباب وأغلق فى وجوههم كل منافذ الأمل فى النجاة ، وأخذ يحصدهم بسيفه حتى أفناهم جميعًا ، كل ذلك والآلهة تراه ، ومينيرفا تحيط به من كل جانب ... تدفعه وتشجعه وتبعث فى عروقه النخوة وفى جسده القوة وفى ساعديه الشباب .. وهكذا ينتهى العشق بأصحابه إلى مأساة ، لقد كان عشقًا زنينمًا ، عشق غير سوى ، إنه على غرار العشق الغابر الذى قامت لأجله حرب طروادة وحصدت عشرات ، بل مئات الأبطال ، ولكنه اليوم عشق يغزو قصد أوديسيوس نفسه الرجل الذى ما حارب إلا لرد شرف هيلاس فى عشق مذموم ، ها هو اليوم يحارب لأجل الذود عن حياض شرفه ه و ، ويا لعظمة من يُقتل دفاعًا عن شرفه أو ذودًا عن وطنه ، ويالخزى من يُقتل آثمًا أو ظالمًا أو معتديًا ، هذا هو إيمان هوميروس بالثواب والعقاب فى الدار الآخرة والذى طالما أكد عليه فى مواقف مختلفة ، فيقول بعد أن قضى أوديسيوس على العشاق وإفضاء أرواحهم المدنسة إ لى رحاب السماء .. " وهكذا انتهت الأشباح الآثمة إلى ظلمات هيذر ، إلى مملكة بلوتو .. حيث تلقى جزاءها العادل من مخالب سيربيروس الحادة وأظفاره القواطع" ...

آن الأوان بالراحة التى لا يعقبها تعب .. الأمن الذى لا يتبعه خوف .. الأمان الذى لا يتخلله قلق . أذن مؤذن السماء بلقاء البطل زوجته الحنون .. زوجته التى ما انفكت تبكيه منذ رحل من عشرين سنة ، وما هانت ولا لانت لعروض أولئك الفسقة الفجرة .. لقد حافظت على طهرها وعفافها ونقائها فترة دامت عشرين سنة بتمامها ، إنها بحق زوجة وفية ،

وكم يقدس هوميروس الوفاء .. كم يقدس الإخلاص ، فساقه إلينا فى صورة الزوجة والراعى والإبن ، ساق إلينا المشاهد كلها كأنها كوكب درى يوقد من شجرة مباركة زيتونة لا شرقية ولا غربية يكاد زيتُها يُضئ ولو لم تمسسه نار.

غاب الشفق وأشفق القمر .. أشعلت نجوم السماء مصابيحها الموقدة ... طار القلب الذى طالما عانى الأسى والوهن ، ليرفرف نحو زوجته ، لم يجد منها إلا الشك .. تكاد لا تصدق كل علامات السماء ، تكاد تشك فى وجودها ذاته ، لا تصدق أن هذا هو أوديسيوس ، وأن آلهة السماء وقفت فى صفه للتخلص من العرابيد ، إنها عادةً ما تقف إلى جوار الحق ضد الباطل ، إنها عادةً ما تُنصف المظلوم وتأخذ الظالم إلى حتفه أخذ عزيز مقتدر .. لقد ظنت أن هذا إله من الآلهة يرق لحالهم فينصرها وولدها وينقذها من شر ولؤم الفسقة الشغوفين حبًا ، لم تكفها شهادة ولدها بأن هذا ليس إلهًا جاء لإنقاذهم ، ولكنه أباه الذى عاد عودًا حميدًا يثأر لشرفه وعرضه .. لم تكفها شهادة المربي العجوز .. لم تكفها تلك الندبة التى بقدمه ليطمئن قلبها ، لم تطمئن إلى كل تلك الدلائل ، فأرادت أن تختبر نفسها وزوجها .. إذهبى أيتها الخادمة الوفية والمربية الأبية لتحضرى لنا سرير عرسنا من داخل القصر .. هنا يفزع أوديسيوس .. إن السرير مربوط بشجرة زيتونة لا يستطيع أحد أن يحركه ، فهل قطع أحد ذاك الرباط المتين ... وما أن صدع أوديسيوس بتلك العلامة التى لا علم لأحدٍ بها سواهما حتى دارت الأرض برأس بنلوب ... انهمرت الدموع تباعًا من عينيها، طار منها القلب والفؤاد ، ذهبت على غير هدى لتعانق زوجها .. أه يا حبيبى .. كنت ميتة فأحيتنى الآلهة الآن بلقائك .. أواه يا أوديسيوس، يا قرة العين وملاذ الفؤاد ، نظرة منك تطوى ما مضى من جراحى ، ونظرة أخرى تحيى ما مات من جسدى .. لم تمر بى لحظة إلا وأنت معى .. تسير إلى جنبى ، تطمئنى ذكراك أنك لابد عائد ... وأنك لابد منتصر ، هكذا الحق ينتصر وهكذا يزول الباطل وينقرض تابعوه.

ويترك أوديسيوس زوجته بعد أن أعطى القلب كأسًا من ريها وجمالها ، ليذهب إلى والده المحزون حيث يعمل فى الحقل ، يُهذب الشجر ويجنى الثمر يلفق عليه أوديسيوس الحكايات كعادته ، ثم فى الأخير يخبره بأنه ابنه الذى تمزق القلب لأجله وإلتاع الفؤاد ، أنا أوديسيوس الذى ماتت أمى لأجلى همًّا وغمًا .. أبتاه ، لنعوض ما مضى من حزن وفراق وألم .. لنشبع من بعضنا البعض ... ولكن تآمر الإيثاكيين الذين يريدون الإنتقام لذويهم يقطع تلك اللحظات، إذ تجهز جيش وأتى لمحاربة أوديسيوس ، ولا تزال مينيرفا والآلهة مجتمعة يساندونه ويؤيدونه ، ويلتقى الفريقان ويقتتلان ، وتهتف مينيرفا من جديد ، ولكنها هذه المرة تخاطب العقل . تبسط يد السلام ... فالهدف كان الإنتقام من العشاق الآثمين وقد تحقق على ما يرام، فلا حاجة الآن لمزيد من الدماء، ولمزيد من إنتهاك الإنسانية الملطخة بالغدر والمدنسة بالعار ولكن لينعم بنو الإنسان بالسلام ، فذاك مراد الآلهة ، وذاك أيضًا مقصد هوميروس، لتنتهى الأوذيسة بنصر الخير على الشر ، وبنصر الحق على الباطل ، بحلول السلام بديلاً للحرب وبتعديل النظرة إلى الآلهة التى دومًا ما تساند الخير والحق ضد الظلم والباطل والشر ، وتلك هى النقاط الرئيسية التى ساقها هوميروس فلسفيًا فى وجبة أدبية بلغت من الروعة والعظمة مكانًا عليًا.

لقد أفلح هوميروس إلى حدٍ كبير فى تقديم وجبة فلسفية أدبية دسمة ، وجبة تتماشى مع الفطرة النقية للطبيعة الإنسانية فى كثير من محاورها وقضاياها الحاسمة ، فقد وقف بتلكم الرائعتين على قضايا الحرب والسلام وعقيدة القضاء والقدر وفكرة الوفاء للصديق وفكرة الحرب المشروعة ومدى مشروعيتها ، وكيف يعتبر اليونانيون الحرب للمجد شرفًا ، والحرب للدفاع عن الوطن شرفًا والحرب للدفاع عن شر ف النساء شرفًا .. إنها كلها أفكار زرعها هوميروس وجناها أفلاطون وآرسطو .. بذر حباتها الأولى هوميروس ، وشيد بنائها فيما بعد أفلاطون وآرسطو ومن ورائهما إلى يوم الناس هذا فى فكرة الحرب العادلة عند جون رولز

وغيره وفكرة ميثاق الشرف عند كوامى أبياه وغيره .. إنها أفكار تمثل معينًا لا ينضب ، مرتعًا خصبًا للفكر البشرى عبر طول تاريخه ، غرسًا نبيلاً يظل البشر ينهل منه ، يتفقون ويختلفون، فتلك سنة الله الكونية فى خلقه ﴿ وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ (١١٨) إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴾ (هود ١١٩) ، ولكن تظل تلك الأفكار خدمات جليلة قدمها هوميروس إلى الإنسانية.

لقد قدم لنا هوميروس تقديسه للحياة الزوجية ، وبُغضه للخيانة باسم الحب ، ففى الإلياذة تختار هيلين زوجها من بين عشاقها الكثر .. وفى الأوذيسة يمقت هوميروس العشاق جميعًا لأنهم يعشقون امرأة متزوجة غاب عنها زوجها ذابًا عن وطن ودفعًا عن شرف .. فى المشهدين تجد العشاق ، لكن أحدهما عشق ممدوح ينتهى بالزواج ، والآخر عشق مذموم ينتهى بقتل العشاق جميعًا .. ثم يصور هوميروس أجاممنون .. ذاك العاشق الذى رفض التخلى عن سريته ابنة الكاهن خريسيز لأجل المصلحة العامة لجيشه ، وأبى أن يترل عن جميلته خريسيز إلا حال نزول آخيل عن صفيته بريسيز لتكون مرتعًا آثمًا لشهواته ونزواته .. فجعله هوميروس يُقتل على يد زوجته وعشيقها أيضًا .. مثلاً بمثل .. وخيانة بخيانة..

هكذا ينظر هوميروس إلى الزواج ، وإلى قضايا الشرف ، وإلى وفاء الزوجة الصادقة ذات الخلق الرفيع .. يقدم هذه النماذج كافة ليذم الأسوأ منها ويُسئ نهايته ، ويمدح الحسن منها ويحسن خاتمته فى رائعة أدبية ذات طلعٌ نضيد.

يبقى التساؤل الأخير حول هاتين الرائعتين ، لماذا جعل هوميروس من أوديسيوس ناجيًا وحيدًا ، من بين جنده ، لماذا أصر على هلاك جنوده وعدم نجاتهم عبر تلك الطرق الوحشية المختلفة ، سواء أولئك الذين أكلهم السيكلوب ، أو أولئك الذين ابتلعتهم الغوريلا ذات الست رءوس ، أو أولئك الذين تصدعت بهم سفن هم فهبطوا إلى قاع اليم طُعمًا للسمك ووحوش البحرّ.. لماذا ينجو أوديسيوس وحده ، هل يكافئه لأنه فتح طروادة بحيلته ؟ فكيف

ذلك وهو ضد الحرب عبر طول الرائعتين ؟ ! أيكون هذا مكافئة من هوميروس لأوديسيوس على شجاعته النادرة ؟ ! لقد كان آخيل أشجع منه وأقوم سبيلاً ومع ذ لك لم يفلت من مقصلة الموت!! ولكن ظنى أن هوميروس جعل من أوديسيوس (بطل الأوذيسة) ناجيًا وحيدًا ليؤكد للجميع أن نهاية الحرب الخراب للجميع .. الدمار لكل شئ .. فلن يخرج من الحرب أحدًا منتصرًا ، ولن يهنئ أحدًا حارب أبدًا ، فأوديسيوس يلاقى الأهوال ، يكاد يموت وتزهق نفسه حسرة وألًما فى اليوم الواحد مائة مرة ، إنه الدمار لكل من يدنس يده فى القتل أويهدم بنيان السماء فى الأرض ، هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى فإن هوميروس أراد أن ينتقم بأوديسيوس من العشاق الآثمين ،فكم كان مبغضًا للخيانة الزوجية ، كم كان كارهًا لكل ما يُلطخ الشرف ، لكل ما يحط من القيمة الإنسانية ، ثم ليعمق به أيضًا بعض الأفكار الفلسفية .. كفكرة القضاء والقدر ، والنداء بالسلام ، ومعاداة الحرب ما وسعه العداء ، وتلك هى القيم النبيلة ، والأفكار الجليلة التى أرسى دعائمها هوميروس.

الفصل الثالث

نظرات فلسفية

فى أدب هوميروس

اهتم هوميروس فى فنه بإثارة بعض القضايا الفلسفية التى أجملناها فى سياق روايتيه الرائعتين ويجدر بنا الإشارة إلى بعض تلك الأفكار فيمايلى:

أولاً: الحرب المشروعة : هوميروس شخص ذو موهبة حقيقية ، ذو فن رفيع ، ثم هو يُسخر تلك الموهبةوذاك الفن لصياغة فلسفية فى ثياب أدبية تسترق المشاعر وتستعبد الوجدان وتأسر الأفئدة ، فهو يقدم رؤيته بكل ما أسعفته مقدرته الأدبية الفائقة ، يستغل كل شخصيات روايته ليسوق على ألسنتهم رؤيته ، يقول هاملتون : " روعة هوميروس تبدو للناظرين من تعميق رؤيته وإثباتها على ألسنة كافة أبطاله من الجانبين ، فهو لا يقف فى صف الهلينيين ضد الطرواديين ولا فى صف الطرواديين ضد الهلينيين ، بل يسوق أدلته على نبذ الحرب وإحلال السلام على ألسنة الاثنين جميعاً"([20]).

ولا أدل على ذلك من تعميق رؤيته لكراهية الحرب إلا بشروط يسوقها على ألسنة الطرفين المتقاتلين جميعًا فالحرب التى تبدو بها ثمة شئ من المشرعية هى تلك التى تُخاض لأجل الدفاع عن الوطن ، أو الدفاع عن قيم أخلاقية نبيلة ، فمن ناحية الدفاع عن الوطن لا يقف هوميروس ضد طرف على حساب طرف فكلاهما أخطئا ، أحدهما أخطأ أخلاقيًا بجريمة إختطاف والآخر أخطأ عسكريًا بجريمة الإعتداء والقتل ، ومن ثمّ فهو يسوق رؤيته للحرب المشروعة على ألسنة الإثنين من ذلك ما ساقه على لسان هكطور بطل طروادة عندما عاتبته أمه على تركه للمعركة وظنت أنه يتركها زهدّا فى الحرب ويأسًا ، فى حين أنه ما تركها إلا ليجعل أمه تتوسل إلى الآلهة ، وحاولت أمه أن تقدم له كأسًا بها خمر فقال لها هكطور : " أه ! حاشا يا أماه ! حاشاى يا أعز الأمهات، لن تُهرق الخمر باسمى وتلك دماء إخوانى تُهرق باسم

---

[20] Hamilton (E) : Mytheology Timeless Tales of Gods and Heroes, (New york, 1959, vol 2,p.164.

الوطن وتراق! حاشاى يا أماه أن أتذوق قطرة واحدة من تلك الكأس ، وهناك فى سعير المعمعة يجرع أبناء طرو ادة الأعزاء كؤوس المنايا وذوب الحمام " ([21]) فهكطور يعترض على مجرد شرب الخمر لأن الطرواديين يُقتلون ويجرعون من المنايا دفاعًا عن وطنهم ويتجلى هذا الإنتماء للوطن وافتدائه بالغالى والنفيس أيضًا على لسان هكطور بطل طروادة المغوار ردًا على أبويه اللذين أشفقا عليه بعد أن بدت مشارف هزيمة الطرواديين تطفو على سطح المعرك ، وأرادا له النجاة من بطش آخيل ، لكنه أبدًا لم يتزحزح عن موقعه ، فكان الوطن هو دافعه إلى مصيره المحتوم ، فقال لوالديه : " حاشاى أن أعود أجرّ أذيال الخيبة ، فإما أن ألقاه فأريح الدنيا قاطبة من شره ، وإما أن يريحنى هو من هذا الهم المقيم فأقضى فى سبيل بلادى ومن أجل مملكتى"([22]).

لقد استقرت عقيدة الدفاع عن الوطن فى قلوب اليونانيين والطرواديين خوفًا من الرق والإسترقاق ، حيث كان المغلوب وما يملك ملكًا للمنتصر ([23]) ، ومن ثَمَّ كان أصل الدفاع عن الوطن لأجل حماية البيضة من الضياع والنسوة من الإسترقاق فهذا هو كل ما يشغل بال المحاربين ، من ذلك قول هكتور لبتروكلوس قائد الميرميدين بعد أن قتله .... :" بتروكلوس .. أرأيت ؟ لقد انتهيت ، ولقد طاحت آمالك وذهبت أمانيك فوق هذه الساحة أباديد !

---

[21]) هوميروس : الإلياذة ، ترجمة درينى خشبة ، دار التنوير ، القاهرة ، سنة ٢٠١٤م ، صـ١٢٤.

[22]) المصدر السابق ، صـ١٩٤.

[23]) Sinclair (T.A) : A History of Greek political thought, Routledge & kegan paul, LTD, London, 1967,p.116.

بتروكلوس.. أكنت تحلم بأن تُفتح لك طروادة عليك فتسوق ببض خدورها إماءًا بين يديك إلى بلادك وتقرن فى الأصفاد أبطالها البهاليل أيها التعس"([٢٤])..

ويستعمل هوميروس كل مواهبه الأدبية ويسخرها لإبراز فكرة مشروعية الحرب دفاعًا عن الوطن فيسوق على لسان بتروكلوس لآخيل يستحثه على الحرب لأجل الوطن قائلاً بعد نقاش دام طويلاً : " إن هذا يوم كله للوطن من دون أيام الدهر جميعًا ، فإذا أفلتت فرصته من أيدينا ، أفلتت عزة الحياة وكرامة العيش من أيدى الهيلانيين جميعًا، ولن يقال من سبب إلا أن آخيل العظيم قد تقاعس بجنوده عن نصرة الوطن وفى سبيل إشباع شهوة الخصومة قامر بالوطن وأبناء الوطن ومستقبل الوطن " ([٢٥]) ، وهى ذات الفكرة التى ظلت تغذى الأساطير اليونانية كافة ، ففى قصة أنتيجونى نجد خوض البطل المعركة لأجل وطنه ، ويصرخ فى جنوده ... " الوطن الوطن .. ضعوه نصب أعينكم ، فإما أن يكون وطنًا أو تساقوا عبيدًا " ([٢٦])

وهذه نظرة مزدوجة ، إذ قد يكون دافع الحرب إلى جوار كونه دفاعًا عن الوطن ، دفاعًا عن الذات والنفس أيضًا من الإسترقاق ، فالحروب اليونانية كافة كانت تعامل العبيد أسوأ معاملة ، وانتقلت تلك المعاملة من الدولة اليونانية إلى الدولة الرومانية التى سارت على درب انتهاك كافة حقوق العبيد الإنسانية ، وهو موروث يونانى فى الأصل ([٢٧]) ولكن

---

[٢٤]) هوميروس : الإلياذة ، صـ١٥١.

[٢٥]) هوميروس : المصدر السابق ، صـ١٣٧.

[٢٦]) د. عبد المعطى شعراوى : أساطير إغريقية ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، سنة ١٩٨٢م ، صـ١٩٦.

[٢٧]) بيرنز: المثل السياسية ، ترجمة لويس اسكندر ، مؤسسة كل العرب ، القاهرة ، سنة ١٩٦٤م ، صـ١١١.

هوميروس يضيف إلى جانب الدفاع عن الوطن ، جانب الحرب الأخلاقية ، أى تلك التى يسميها جومبرز "الحرب الواجبة" ([٢٨]) ، تلك التى تتمثل فى الدفاع عن النساء إذا تعرضن لظلم فهذه من قيم الحق والعدل مثلما أورد هوميروس دفاع البطل آخيل عن إفيجينا ، تلك الفتاة الجميلة ابنة أجاممنون ، والتى انتوى أبوها وعمها أن يذبحاها قربانًا للآلهة للرضا عن جيشهم ، ولكن آخيل يتدخل قائلاً لأم الفتاة عندما توسلت إليه للدفاع عن ابنتها وارتمت تحت قدميه شاكية باكية : " قفى يا سيدتى وكلمى أباها فى شأنها ، فإن لم يحل بينها وبين الموت فإنى سأقاتل من دونها حتى أنقذها من الهلاك ولو حاربت هيلاس جميعًا" ([٢٩]).

وكذا الحرب لأجل الشرف ، ذاك الذى يلتاث بالوضاعة حين تفرط امرأة فى شرفها أو تهرب مع عشيقها مثلما صرح منلوس ، ملك إسبرطة ، بعدما علم أن زوجته هيلين ق د هربت مع عشيقها باريس ، .. " الحرب الحرب ، الإنتقام من الفاجرة .. اقتلوا الخائن .. يا تنداريوس .. ادعُ حلفاءك لقد أقسموا جميعًا .. لقد كنت تتوقع هذه النهاية ياتندريوس .. استيقظ استيقظى يا اسبرطة .. جنودى .. شعبى .. هلموا إلىّ" ([٣٠]).

وسرت تلك النزعة ضد الحروب إلى الأدب اليونانى عامة ، ومنه إلى الفلسفة فى مذاهبها المتكاملة ، ففى الأدب نجد مسرحية أرستوفانيس " أهل خارنيا" التى تسخر من حزب دعاة الحرب ومن القادة العسكريين ، وهى تصور لنا سخف الحرب فى مشاهد قصيرة نشطة ، وتؤكد مشقات الحرب التى لا يوجد ما يبررها دون إثارة عواطف الألم والأسى ، بل مخاطبة

---

[٢٨]) Gomperz (th) : Greek thinkers A History of Ancient philosophy, 4 vols , trans by : G.G. Berry, John murray, London, 1944, vol I,p.76.

[٢٩]) هوميروس ، الإلياذة ، صـ ٧٤.

[٣٠]) نفس المصدر ، صـ٤٦.

العقل بأسلوب أدبي يكفى أنه من صنع أرستوفانيس :" ولما الحرب يا سادة ، أنت يابوليمانوس ، وأنت يا سيزينا ، أما تسمعون ربه الحكمة .. أما تنصتون إلى صوت الطبيعة ، الآلهة ضد الحرب .. مينيرفا الحكيمة ضد الحرب .. الوجود بأرضه وسمائه ضد الحرب ... أنتم فقط من تعبثون بأرواح البشر ، إنكم آثمون .. قتلة.. معتدون " ([٣١]) هكذا ، وبهذا النمط تسير المسرحية ناقمة على الحرب ومؤيديها ، ولافتة أنظارهم إلى العقل والحكمة والتبصر.

ويضفى هوميروس صبغة التقديس على تلك الحروب المشروعية عبر خلود أروا ح شهدائها الأبرار ، فالذين يُقتلون فى سبيل الدفاع عن الوطن أو القيم الأخلاقية ينالون جزائهم الأوفى فى رحاب زيوس ، فأرواح الشهداء فى خلود سرمدى ليس من ورائه فناء ، إنهم ضحوا بأرواحهم لأجل الوطن فاستحقوا الخلود فى صحائف الزمان ومطوياته ، يقول بيزستراتوس عن منلوس الذى قُتل فى طروادة .. " أما أنت أيها الملك منلوس ، فطوبى لك ، إنك ستحيا سعيدًا ، ثم تنتقل إلى دار الخلد ونعيم لا يبلى ، جنات الإليزيوم ، حيث لا برد ولا زمهرير ، ولا يوم عبوس قمطرير ، بل تسقى ومن معك من الأناسى من ماء معين ، لا لغو فيه ولا تأثيم ، مقام كريم ، وجنة نعيم ، وغادتك الحسان هيلين ، يا ذرية زيوس العظيم" ([٣٢]) .

وظلت هذه العقيدة سارية لدى الجميع ، حتى على مستوى الشعوب ذاتها فإنهم يكرمون شهداء الوطن ، ففى قصة أنتيجونى نجد تكريم الشهداء ، حيث يكرم إيتوكليس الذى قضى

---

[٣١]) Aristophanes : People of kharinya, trans into English by B.B. Junet, (Duckworth, London, 1995, vol I frag 26, p.83.

[٣٢]) هوميروس : الأوذيسة ، ترجمة درينى خشبة ، الأهلية للنشر والتوزيع ، القاهرة ، سنة ١٩٥٨م ، صـ٥٧.

نحبه دفاعاً عن الوطن حيث : " أصدر كريون أوامره بأن تدفن جثة إيتوكليس فى احتفال رسمى مهيب ، أمر أن ينعم بعد موته بالحفاوة والتكريم ، أن يقام له قبر فخم ضخم يحج إليه كل أهل طيبة ، فلقد مات وهو يدافع عن وطنه ، من ناحية أخرى أصدر كريون أوامر مشددة بأن تترك جثة بولونيكيس لقمة سائغة للضوارى والكلاب ، فلقد مات وهو يهاجم بلاده" ([٣٣]).

هكذا يسير هوميروس ومن ورائه الميثولوجيا اليونانية فى أغلبها فى اتجاه تكريم شهداء الوطن ، حتى سرى هذا التقليد إلى رحاب السياسة فى خطبة بركليس الشهيرة : " الآن وبعد أن ذرفتم الدموع على شهداء الواجب ، شهداء الوطن ، فانصرفوا بأجر وغنيمة ورضا الآلهة ، فهؤلاء أغلى ما قدم وطننا " ([٣٤]). ومن ثمّ نجد إرتباطًا وثيقًا بين الحرب وخلود النفس وهو ما سنعرض له فى الفقرات الآتية.

ثانيًا : خلود النفس : يؤمن هوميروس بخلود النفس ، فهى جزء أصيل من رؤيته الفلسفية التى ساقها فى صورة أدبية ، حيث يذهب أوديسيوس (بطل الأوذيسة) إلى الدار الآخرة مستنبئًا النبى الصالح تيرزياس الذى احتفظ وحده فى عالم الموتى بكل الأسرار والقوى الغيبية ، ويذهب أوديسيوس ويقص علينا من ذاك النبأ العظيم .. " وفجأة لمحت بين أرواح الموتى شبح أمى ، أمى المحبوبة ، أنتكليا ابنة ا لشجاع أوتوليكوس ، التى تركتها يوم يممت شطر طروادة قوية ، عريضة الصبا ريانة الشباب ، وما وقعت عينى عليها حتى أجهشتُ وأجهشت

---

[٣٣]) د. عبد المعطى شعراوى : أساطير إغريقية ، أسطورة أنيتجونى ، صـ ٢٦٧.

[٣٤]) Guthrie: op.cit.p.83.

، ثم انهمرت من مقلتى أحرّ العبرات ومع ما كان يعتلج به صدرى من الأسى عليها فقد ذدتها عن الدماء كذلك ، وبى من الهم لتلك الفعلة ما أوهننى وأضوانى"([٣٥]) .

ومقام الدار الآخرة عند هوميروس مقام الخلود والجزاء ، فالأرواح تتلاقى فى رحاب (هيدز) .. " وكلم ابن بليوس قائد الهيلانيين أجاممنون ورثا له ، فكلمه أجاممنون وتحسرّ عليه ، ورأوا روح بتروكلوس حبيب آخيل زعيم الميرميدون ، وروح آخيل نفسه ، وروح أجاكس العظيم " ([٣٦]).

وهى أيضًا مقر للثواب والعقاب : " وهكذا انتهت الأشباح الآثمة إلى ظلمات هيدز ، إلى مملكة بلوتو ، حيث تلقى جزائها العادل من مخالب سيربيروس الحادة وأظفاره القواطع" ([٣٧]) .

ومثلما يصور هوميروس الدار الآخرة كمقر للثواب والعقاب ، ومقر تتلاقى فيه الأ رواح ، إلا أنه يصور تلك الأرواح مجرد أشباح أو ظلال ، ويرمز لها هوميروس بأوديسيوس عندما يهب محاولاً عناق أمه فتذوب كالزئبق ، فما استطاع على ذلك صبرًا فهتف بها .. " لماذا تأبين علىّ عناقك يا أماه وقد نتداوى به مما بنا من شجو ، ولو كنا هنا فى مملكة بلوتو ؟ أم يا تُرى أرسلت إلى برسفورنية شبحًا يعبث بى ويتضاحك علىَّ؟ " فقالت " أواه يا ولدى .. يا أتعس بنى الموتى ! أبدًا ما حاولت ربة هيدز أن تعبث بأحد ، ولكنها طبيعة الموتى هنا ، فهم لا عضل ولا لحم ولا عظم ، ولا ما ذهبت به النار بعد الموت فى الدار الأولى ، بل هم أرواح تشبه الظلال أو الأحلام فى خفتها وسرعة انفلاتها ، ولكن هلم فعُد أدراجك إلى النور ، فلقد

---

[٣٥]) هوميروس : الأوذيسة ، صـ١٥١.

[٣٦]) المصدر السابق ، صـ٢٩٣.

[٣٧]) المصدر نفسه ، صـ٢٩٤.

جاءك من الحق ما هو حسبك" ([38]) ولعل مقصد هوميروس الأكبر من جعل الأرواح فى خلود وكونها أشباح للتدليل على أن الشهداء لأجل الوطن ينعمون ويرفلون فى الخلود وعظمة الثواب ، بل ولعله قصد من ذلك أن الحياة الدنيا ستنقضى حتمًا ، ومن ثمَّ فأشرف للمرء أن تنقضى حياته دفاعًا عن الوطن فضلاً عن أن تذهب سدى ([39]) ، زد على ذلك أن تلك الأرواح قد تحتفظ بخلودها أو صفة الحياة التى تمتعت بها فى الدار الأولى ، يقول إيفاجيلوس ما نصه : " نظرية النفس عند هوميروس ترجعنا إلى نظريات غاية فى القدم ، وفقًا لتلك النظرية – أرواح الموتى – وهى أجسام شفافة كالظلال ، تتمتع بجميع حواسها وتتجذب إلى الدماء ، تعيش فى هادس ، وهو واحد من آلهة العالم السفلى يحفظ الأرواح – وهو ليس جحيمًا – التى هى فى اشتياق دائم للحيا ة الدنيا ، وإلى الجسد التى كانت تسكن فيه فى حياتها على الأرض ، لأن الأرواح تحتفظ بنفس الصفات التى كانت تصف الشخص الذى كانت تسكن جسده "([40]).

يمكننا القول إذن بأن نظرية خلود النفس لدى هوميروس ترتبط إرتباطًا وثيقًا برؤيته للحرب المشروعة ، كما ترتبط برؤيته للسلام ، وهو ما يمكن توضيحه فى الفقرات التالية.

ثالثًا : فلسفة السلام : يطالعنا **COX** بالقول بأن "هوميروس لم يقدم الإلياذة والأوذيسا إلا لإقرار السلام بين البشر وبعضهم البعض من ناحية ، وبين البشر والآلهة من ناحية آخرى " ([41]) ، وهو صادق إلى حدٍ كبير ، إذ احتل الس لام مكانة محورية وجوهرية فى أدب

[38]) هوميروس : الأوذيسة ، صـ١٥٥.

[39]) GOX : op.cit.p.116.

[40])إيفاجيلوس موتسوبوليس ، المرجع السابق ، صـ٧٠.

[41]) COX: op.cit.p.63.

هوميروس الفلسفى ، إذ عادة ما يصور هوميروس السلام على أنه قضية مصيرية ، محورية ، قضية الإهتمام الأول والأخير ، ففى كل مشهد يُصَّدر فكرة عن السلام ، حتى مع الشحاذ ينصحه أوديسيوس (بطل الأوذيسة) بالسلام .. " أيها الصديق إنى ما آذيتك ، وإن فى المكان متسعًا لكلينا ، أرجو ألا تثيرنى أكثر مما فعلت وإلا فلا يغرنك هرمى وتقدم سنى ، فتالله لأرينك كيف أضربك ضربًا تقول منه الهامة اسقونى ، اجنح للسلم هو خير لك ، واصغ إلى نصحى ، وإلا فلن تدخل قصر الملك أوديسيوس بعد اليوم " ([٤٢]).

كما يصور هوميروس فريق من الآلهة غير راضٍ عن الحرب ، ويود لو يبسط يد السلام فيقول : " وفريق ثالث لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء([٤٣]) ، ينقم على هذه الحرب الشعواء التى سُعرت لغير ما سبب يستحق كل تلك الضحايا ويستحل كل هذه المهج ، وهذا الفريق يحنق على طروادة ويحنق على هيلاس جميعًا ويود لو يأذن سيد الأولمب فيزلزل بهما الأرض ويرسل عليهم كسفًا من السماء فلا يبقى على أحدٍ منهم أبدًا " ([٤٤]). ، وإذا كانت تلك هى رغبة الآلهة فرغبة الطرفين المتنازعين أشد جنوحًا إلى السلام ، وكعادة هوميروس يسوق ما يريده على ألسنة الطرفين جيمعًا ، فيقول عن آخيل بعد رؤيته للأميرة الفاتنة بوليكسنا أخت البطل هكطور ، وبعد أن نبع حبها فى قلبه .. " ولم يجد بُدّا من العمل لإحلال السلم محل تلك الحرب التى طالت وتتابعت عليها السنون ، من غير أن يظفر الهيلانيون بالطرواديين أو الطرواديين بالهيلانيين ، ومن غير أن يفكر أحد فى هذه المجزرة الشائنة التى تغتذى كل يوم

---

٤٢) هوميروس : الأوذيسة ، صـ٢٤٧.

٤٣) بمعنى لا هو مع الآلهة الذين يقفون إلى جوار الهلينيين ولا هو مع أولئك المؤيدين للطرواديين ، بل هم ضد الحرب أساسًا.

٤٤) هوميروس ، الإلياذة ، صـ١٧٤.

بقطوف الشباب من زهرات الأمتين على السواء " ([٤٥]) ، ثم بعد تسعة أعوام من الحرب يُنطق هوميروس أجامنمون قائد الحرب وزعيم الجند بالقول : " يا قوم لست أدرى إلام تمتد بنا هذه الحرب ، وحتمًا نُنفى هنا فى هذا المكان السحيق م ن الأرض؟! تسعة أعوام يا قوم ونحن هنا بمعزل عن العالم .. ألا أقولها لكم كلمة سواء صريحة ؟ هلموا فاغمدوا هذه الرقاق البيض ولنعقد مع الطرواديين هدنة يعقبها صلح شريف ، ثم لنركب أسطولنا الذى نخر السوس فى أحشائه أو كاد ، ثم لنعُد أدراجنا إلى هيلاس سالمين ! حرب! أية حرب هذه التى اشتعلت من هولها الرءوس شيبًا " ([٤٦]).

وبمثل ما يسوق هوميروس اعتراض الهيلانيين على الحرب ، يقدم لنا اعتراض الطرواديين أيضًا ، فينطق على لسان "أندروماك" زوجة هكطور المخلصة بما يجيش به قلبها تجاه زوجها ، فتنادى والشوق يمزق كيانها ويعصف بوحدة ذاتها : " هكطور! رجلى وزخرى فى هذه الحياة إلى أين أيها الحبيب ؟ أما لهذه الحرب الطاحنة من نهاية ؟ أهكذا قضت الآلهة على طروادة الخالدة بالحزن الأبدى والأسى السقيم ؟ هكطور ، ألا تفكر فى سلم يرفرف على ربوع الوطن ويُبقى على هذا الشباب الذى تعصف به ريح الحرب" ([٤٧]).

وهوميروس هنا يريد أن يُصدّر لنا مشهد كراهية الحرب لذاتها ، ولا أدل على مقته لها كمبدأ من رفض الخصوم المتطاحنين كلاهما لها ولما تجره من ويلات تسوق المنايا على عجل ، يقول **"Jovons"** : " لم تكن الحرب لدى هوميروس إلا وسيلة لإقرار العدل والسلام ، فإن تجاوزت ه ذه الحدود تجردت عن صفتها الأخلاقية ، أما إذا تحقق السلام والعدل والحق

---

٤٥) هوميروس : الإلياذة ، صـ ٢٢٧.

٤٦) نفس المصدر ، صـ١١٣.

٤٧) المصدر نفسه ، صـ ١٢٨.

فهذا مقصود الحرب وغايتها ، وربما كانت الحرب بين الطروادين والهيلانيين لذات الأغراض الأخلاقية فى المقام الأول " ([٤٨]).

ولذات السبب الأخلاقى فى رفض الحرب ، يكمن السبب عينه فى إرادة السلام ، فالحرب لم تكن سوى وسيلة لإقرار السلام ، وما أكثر المشاهد التى ساقها هوميروس للتدليل على ذلك ، حيث ينصح سيد الأولمب ، جوف العلى ، إلهة الحكمة ، مينيرفا العظيمة ، قائلاً : " ولكن نصحى أمحضك إياه يا مينيرفا مادام أودسيوس قد ثأر لنفسه من أعدائه ، فليكن السلام على الأرض ، وليحل الأمان فى ربوعها ، وليتقاسم الملأ على الود والصفاء ، وليحكم أوديسيوس بين الناس بالعدل ، وعلينا نحن أن نترع ما فى صدورهم من غلٍ فينسوا سخائمهم ، ويطرحوا ثاراتهم ، ثم لتكن لهم من أنفسهم أمنة ، ولتجر البركات عليهم أجمعين ، وليصبحوا بحولنا أصفياء متحابين " ([٤٩]).

ولعل إرادة الآلهة تلك تُلمح إلى السلام بشقيه ، الداخلى ، حيث الهدوء النفسى ، والخارجى حيث الأمن السياسى وعدم وجود نزاعات حربية ، وهى لمحة توسع مفهوم السلام ومقصوده لدى هوميروس ، حيث يجنح دومًا إلى السلام ، إلى أن تضع الحرب أوزارها ، أن يعود الجند إلى أوطانهم سالمين ، فى كل حرف تخطه يمينه تستشعر تلك المعانى ، ففى رسالة الآلهة إلى هرمز رسول الآلهة .. " هرمز .. هلم يا بنى إلى عروس الماء الشقراء كاليبسو برسالتى ، مُرها أن ترسل أوديسيوس عائداً إلى أرض الوطن ، ليبحر سالمًا إلى إيثاكا ، بذا

---

[٤٨] Jovons (F.B) : Introduction to the History of Religiou, London, 2006, p.58.

[٤٩] هوميروس : الأوذيسة ، صـ٣٣.

قضت المقادير أن يؤوب ، وأن يستعيد سلطانه وصولجانه ، وملكه وإيوانه ، ويلقى بعد طول النأى خلانه" ([50]).

ثم يصور هوميروس مشهدًا يخلب النفس ويأسر الفؤاد ، حيث حنين الجند إلى الوطن ، إلى ترابه ومائه ، ذالكم هو مشهد أوديسيوس بروعة فن هوميروس .." وهكذا خرَّ أوديسيوس جاثيًا يُقبل ثرى الأرض المقدسة ، ثم رفع يديه يصلى لعرائس السماء كسابق دأبه : " يا عرائس البحر ، يا بنات جوف الأعظم ، لقد قنطتُ قبل هذا من أن أراكن ، فهأنذا أعود إليكن بألف نذر وألف تحية وسلام ، ولكُنّ القرابين الغوالى إذا مدت أختكن مينيرفا الحكيمة فى أيامى وباركت رجولة ولدى ومعقد أحلامى " ([51]).

ثم تلمح تأكيدًا على نزعة الأتراكسيا لدى هوميروس ، حيث تمنى الوفاق الداخلى للنفس ، وإرادة العيش بسلام ، تلك الأمنية التى صورها فى أكثر من مشهد ، منها مشهد أوديسيوس فى قصه القصص على زوجته ينبئها من ذلك الخطل .. وما نبئته به الآلهة .." سأذكر لك ما نبأنى به تيرزياس ، لقد أشار أن أحمل مجدافًا عظيمًا على كاهلى ، ثم أنطلق مهاجرًا ممالك نائية وأسقاع سحيقة ، ثم تقربت إلى إله البحار نبتون الجبار بقرابين تمحو ما بينى وبينه وتعقد أواصر السلام والوئام بيننا، كما تقربنى إلى أعوانه الآخرين من آلهة السماء ، فإذا فعلت استرحت من لأواء الحياة ، ونأت عنى أرزاؤها ، وعدت إلى شعبى وإليك ، وإلى ولدى وقصرى فعشت بينكم فى سلام " ([52]).

---

[50]) المصدر السابق ، صـ٦٥.

[51]) نفس المصدر ، صـ١٩٩.

[52]) نفس المصدر ، صـ٢٩١.

وذات النص بالتقريب نجده لدى أبكتيتوس الرواقى فيما بعد .. " كم يشتاق المرء إلى سلام نفسه .. هدوء جسده .. راحة قلبه .. أن يكون بلا عواصف ، بلا عنف ، مصحوبًا بسلام داخلى يشيع فى جنبات نفسه ويحيط بمن حوله بهجة وسرورًا " (٥٣).

هذا الهدوء النفسى الذى ظهر فيما بعد فى مذاهب واضحة كالأبيقورية والرواقية ثم نزعة التصوف السلبى لدى أفلوطين كان هوميروس هو منشؤها الأول عبر روائع أدبه ، فهو من رسم تلك اللوحة المضيئة للسلام عامة ، وللسلام الداخلى بصفة خاصة (٥٤)، ولا أدل على ذلك مما ساقه على لسان أوديسيوس من تمنى العيش مع زوجته وولده بسلام ، ثم ما قدمه من تصوير مشاهد الحدائق والأرض والزروع والثمار ، كل ذلك ليؤكد على السلام الداخلى ، الهدوء النفسى والطمأنينة الذاتية للنفس الإنسانية(٥٥).

وكثيرًا ما ركز هوميروس مشاهده على إقرار السلام الحربى ، السلام بعد العداء ، السلام الذى يملأ الأرض سكينة ، فكما أن هذا السلام كان يمثل إرادة الأبطال ويحيط بأحلامهم ، فكذا كان يراود الآلهة ، تلك التى عملت ه ى الأخرى لأجل إقراره ، هكذا يقدم هوميروس كل النصوص التى تضمن تحقيق ذلك السلام على لسان الآلهة فيقول مصورًا ذاك المشهد : " وهتفت ابنة جوف العذراء بأوديسيوس ورجاله تقول : السلام عليكم أيها المحاربون ! السلام

(٥٣ Epictetus : Discourses, trans by : E. carter, published by : J.M. Dent & Sons LTD, London, 1910, vol 2 , p.126.

(٥٤ . Guthrie : op.cit.vol 1 , p.68

(٥٥ Genest (E) : Myths of Ancient Greece and Rome, Burke Books, London, 1963, p.103.

! السلام ! قبل أن تجرى دماؤكم أنهارًا " ([٥٦]) ثم ما ساقه من مشهد مينيرفا ربة الحكمة وهى تحث أوديسيوس على وقف القتال ، تصيح به " لا يا أوديسيوس ، لا يا ابن ليرتس النبيل ، لا يجدر هذا بماضيك ضع حدًا لهذه المجزرة المروعة ، أو تجلب عليك غضب جوف العلى ! وخبت أوديسيوس ، وسُرت مينيرفا ، وعقد منطور الصلح بين الفريقين ودخل الناس فى السلم كافة"([٥٧]).

وسرت تلك الدعوة الهوميرية إلى مقت الحرب والتروع نحو السلم فى الأدب اليونانى من بعده فنجد أرستوفاينس فى مسرحية " السلام" **"Peace"** يؤكد أفكار السلام ويُشرك فيها إرادة كلاً من الآلهة والبشر، حيث يطير مزارع آثينى سئم الحرب إلى ا لسماء ممتطيًا خنفساء ، ليجد أن الآلهة بدافع اشمئزازها من البشر قد انتقلت إلى مكانٍ أعلى ، وأن الحرب قد استولت على جبل أوليمبوس ودفنت السلام فى كهف ، ويجُر المزارع ربه السلام فيُخرجها من الكهف ويعود بها إلى الأرض مع رفيقتيها الفرح والحصاد ، ثم يتزوج الحصاد ، وتنتهى المسرحية بأنغام أغنية الزفاف ، فيصيح المزارع فرحًا .. " آلهتى .. أحبتى .. لا تترعوا عنا ودكم ، لا تترعوا عن الأرض السلام .. أفيضوا عليها من الخير والحصاد والثمار ، املأوا أركانها فرحًا وبهجة وسعادة .. تقدست أسماؤكم ، بورك وجودكم " ([٥٨]) .

وعلى هذا الدأب سار الشعراء اليونانيون ، فكانوا يتغنون بالسلام ، من ذلك ما ساقه بندار .. " هناك حيث تسود الشريعة وشقيقاتها .. أساسًا أمينًا للمدن .. عدل وسلام .. نشأ فى

---

[٥٦]) هوميروس : الأوذيسة ، صـ٣٠٤.

[٥٧]) نفس المصدر ، صـ٣٠٥.

[٥٨]) Aristophanes : The peace, Trans by : R.levin, Duckworth, London, 1995, vol 3,p.142.

كنفها بنات ذهبيات الشعر .. موزعات الثروات على البشر ، أمهن آلهة العدل ذات العقل الحصيف " ([٥٩]) ، وكثيرًا ما نجد مثل هذه الأشعار ، ولكنها فى الغالب تربط بين العدالة والسلام ، باعتبار الأولى وسيلة للثانى والثانى غاية للأولى ، يقول جومبرز : " تتفق العدالة والسلام فى التراث اليونانى حتى آرسطو ، فالسلام ما هو إلا ثمرة للعدالة ، كما أن غياب العدالة يعنى إدخال المجتمع قسرًا إلى حرب تُفرض عليه ، وهو مضاد للسلام " ([٦٠]) . وهذا بالفعل ما لمسناه من تراث هوميروس وما لحق به من أدب وفلسفة ، حيث ترتبط العدالة دومًا بفكرة السلام ، ولكنها تتخذ عند هوميروس منحى أدبيًا ، كما تبحث فى صور السلام كافة ، داخليًا وخارجيًا ، سلام على الأرض ، وسلام داخل النفس الإنسانية .

والمستقرئ لتراث هوميروس يستنبط منه كل تلك المعانى ، فهو ضد الحرب بالأساس ، الحرب كمبدأ ، حيث يُنطق بعض القادة بما تطير به قلوب الجنود من جنوحٍ إلى السلام فى بادئ الأمر ، ثم ما تعرَّض له القادة حين صمموا على الحرب واس تمرار القتل واستحلال الدماء ، فأجاممنون يُقتل قتلة شنعاء .. قتلته زوجته الآثمة ليخلو لها وجه عشيقها ، وآخيل .. أشجع الهيلانيين يقضى نحبه بسهم من باريس العاشق الأثيم .. وبروتوكلوس زعيم الميدميدون يُقتل هو الآخر ، قتله هكطور .. وجثة هكطور التى يعبث بها آخيل تعود إلى أهله وذويه ليُكرَّم تكريم الأبطال لأنه يدافع عن وطنه ([٦١])، وأوديسيوس يخوض عباب البحر ويتيه فى

---

[٥٩]) بورا (س.م) : التجربة اليونانية ، ترجمة د . أحمد سلامة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، سنة ١٩٨٩م ، صـ ١١٧.

[٦٠]) Gomperz : op.cit.p.206.

[٦١]) هوميروس ، الإلياذة ، صـ٣٦ وما بعدها.

أعماق البحور وتلاطم أمواجها ، ويعانى الويلات كافة من الأرض والبحر والجو ، ويظل فى ظلمات من ورائها ظلمات ، ولولا تدخل العناية الكريمة من سيد الأولمب لما عاد إلى أهله، بل إنه لقى جزاءً أشبه بالعقاب ، حيث استحلال العشاق لولده ولخيرات أبيه وتزاحم العشاق حول زوجته الوفية بنلوب ، كل هذا يُعد بمثابة رفض هوميروس للحرب([٦٢]).

هكذا يقدم هوميروس جدلية الحرب والسلام ، قانونه الأول معاداة الحرب أشد المعاداة ، ومع ذلك فهو يُكرِّم شهداء الحروب ويمجد أولئك الذين سقطوا دفاعًا عن الوطن ، هذا هو القانون ، أما القانون المكتوب الذى يُنظم العلاقة بين الجميع فلا وجود له ، إلا أنك قد تلمح أنه من أنصار سيادة القانون حتى وإن لم نجد من أقواله على ألسنة أبطاله ما يدل على ذلك صراحة ، ولكن ضمنيًا نجده يقول على لسان والد أوديسيوس لإبنه قبل أن يعرفه وهو يشكو إليه حال العشاق الأثمين.. " أيها الأخ لقد بلغت مناك فهذه هى إيثاكا ، بيد أنها وأسفاه نهب مقسّم بين فئة باغية ظالمة .. لا تخضع لقانون ولا تعرف شريعة " ([٦٣])، كما ساق على لسان أوديسيوس عند خوف من السيكلوب قوله:" وكان يشيع في قلوبنا فزع أن يفجأنا هذا الجنى صاحب المكان، الذى لا يخشى فينا شريعة ولا يرده عن أذانا قانون"([٦٤]).

ولكن هذه النصوص لا تعطى إنطباعًا قويًا عن فكرة القانون لدى هوميروس، بل قانونه كان هو القوة ، فآخيل هو أشجع الشجعان لقوته لا أكثر ، وأوديسيوس داهية ومغوار لقوته لا أكثر ، وهكطور بطل لا يُشق له غبار ، وهكذا القوة عنده هى المعيار ، لكن هذه القوة ،

---

[٦٢]) هوميروس ، الأوذيسة ، صـ١٨ وما بعدها

[٦٣])نفس المصدر ،صـ٢٩٧.

٦٤)نفس المصدر ، صـ١١٩

وسعيه للسلام ووأد الحرب ، كل ذلك ترعاه ربة العدالة التى أحاطت بكل شئ علمًا، فالعدالة هى هدف الحرب – إذا كانت مشروعة فقط – وهى أيضًا هدف السلام ، فهناك القناعة بربه العدالة ، قانونها الحكمة ، وغايتها العدل المطلق ، هذه الربة "مينيرفا" هى ملجأ كل مظلوم ، يتوجه إليها تليماك ، الابن الوفى لأوديسيوس .. يخشع ويضرع .. " أيتها الربة المباركة ! يا إلهة الحكمة مينيرفا ! يا من كنت أمس ضيفة مكرّمة تحت سقف هذا البيت ، أُصلى لك ، أنا تليماخوس التعس ، وأبتهل أن تباركينى وتسددى خطواتى ، وأن تكونى رائدى الأمين فى عباب هذا البحر ، وأن تشدى أزرى وتكونى معى إلبًا على هؤلاء الفسَّاق العرابيد ، وأن تشرقى فى ظلمات الكون البعيدة ، وأن تُحلى أمنًا وسلامًا علىّ .. يا مينيرفا ، استجيبى يا ربة العدالة"([٦٥]).

يمكننا القول إذن بأن العدالة ترتبط بالسلام بدرجة ما عند هوميروس ، إلا أنها لا ترتبط بنفس الدرجة بفكرة القانون.

ويسرى الأثر الهوميرى فى فكرة السلام وفى العدالة ، وإلى حدٍ ما فى القانون على كل من تبعه، ففى لمحة خاطفة للغاية نجد أثر فكرة السلام على أفلاطون حيث ينبذ كل تربية وكل تعليم يقود إلى الحرب أو يرسخ لمشروعيتها ، ويذهب إلى ضرورة السلام.. " ولكن الأفضل هو ألا تقوم حرب ، وألا ينشأ شغب بوصفهما من الأشياء التى نرجو الاستغناء عنها ، ونرجو أن نحقق السلام والخير بدلاً منهما" (٦٦) ويزداد تمسك أفلاطون بالسلام ، فما الحرب إلا وسيلة للسلام .. " لن يكون هناك مشرَّع معقول ، ما لم يُشرّع للحرب كوسيلة

---

[٦٥]) هوميروس : الأوذيسة صـ٢٤.

[٦٦]) أفلاطون : محاورة القوانين ، ترجمة محمد حسن ظاظا ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة، سنة ١٩٨٦م ، صـ٨٩.

للسلم ، وليس للسلم كوسيلة للحرب"(٦٧) ، أضف إلى ذلك ما تأثر به أفلاطون فى حديثه عن العدالة ، وعن القانون كذلك ، ولكن الفارق الرئيسى بين هوميروس وغيره أن هوميروس كان يعبر عن رؤاه عن طريق القص الأدبى ، فى حين أن غيره كان يعبر بطريقة فلسفية مباشرة ، بما فى ذلك أفلاطون ، فعلى الرغم من تأثره بالأسلوب الأدبى وتحدثه فى صيغة المحاورة المفعمة بالتأثير والإبداع الفنى إلا أنه كان يسوق رؤاه فىوضوحٍ لا لبس فيه ولا غموض(٦٨).

وعلى ذات الدرب نجد آرسطو ، ففى كافة كتاباته السياسية ، بل والأخلاقية يحث على التماس سُبُل السلام .. " يجب على الشارع على وجه الخصوص أن يعمل على أن تكون قوانينه الخاصة بالحرب كسائر أنظمته ليس لها غرض سوى السلام" (٦٩).

وكذا انتقلت الفكرة إلى العصر الهللينستى خاصة عند أقطاب الرواقية الذين التمسوا السلام فى شقيه ، الخارجى والداخلى ، ففى الشق الأول نجد تأكيد سينيكا(٧٠) على السلام بالقول : " إن الحكمة ليست هى

---

[٦٧]) نفس المصدر ، صـ٨٩.

[٦٨]) Guthrie : op.cit, vol 9,1 p.306.

[٦٩]) آرسطو : السياسة ، تعريب د. أحمد لطفى السيد ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، سنة ١٩٤٧م ، ك٤ ، ب ١٣ ، فقرة ١٥.

(١) هو لوكيوس أنايوس سينيكا المعروف بـ "سينكيا الصغير " فيلسوف رومانى وكاتب تراجيدى فى العصر الفضى للأدب اللاتينى ، ولد فى عام ٣ ق.م فى قرطبة وظل ممارسًا للسياسة ومتنقلاً فى البلاط الملكى إلى أن حكم عليه بالموت فى عام ٦٥ بعد اتهامه بالإشتراك فى مؤامرة ضد الإمبراطور نيرون والذى أمره بالإنتحار دون محاكمة فعلية.

See: Groceman (F) : Seneca, Bell and sons, London, 2006,p.28.

التى تدبر لنا العدة أو الأسوار أو الأدوات المفيدة فى الحروب، بل إنها صوت ينادى بالسلام ، وهى تدعو البشرية كلها إلى الوفاق ، فمسار الحكمة يتجه نحو السعادة ، لذا فهى ترشدنا فى هذا الصدد وتفتح أمامنا الطريق وتوضح لنا الأشياء الشريرة والأشياء التى تبدو شريرة فى ظاهرها ، وهى تجرد العقل من الأوهام الباطلة وتصبغه بعظمة الحقيقة" (٧١) ، فإذا كانت هذه دعوة صريحة إلى السلام الخارجى فإننا نجد ذات الأثر على أبكتيتوس(٧٢) فى دعوته إلى السلام الداخلى ، ومن تلك النصوص يقول أبكتيتوس : " كم
سيعيش الإنسان ، حياة قصيرة للغاية ، فلما يملؤها الحرب ويغزوها العنف ، لخراب عمره أم لفناء حضارته ، إن الأحمق وحده هو الذى يخطط للحرب" (٧٣).

هكذا سرت رؤية هوميروس فى فنه وأدبه إلى رحاب الفلسفة متجاوزة خيال الأدب وعظمة نسجه وروعة بنائه إلى عمق المعنى الفلسفى ودقة صياغته.

يمكننا القول إذن بوجود علاقة وطيدة بين الأدب والفلسفة ، بل يمكننا الذهاب أبعد من ذلك بالقول بأن الكثير من الأعمال الفكرية ذات أصول فلسفية فى الأدب اليونانى ، وأن النظرية السياسية لدى هوميروس ممثلة فى جدلية الحرب والسلام قد سرت فى الأدب والفلسفة من بعده على حدٍ سواء ، فالحرب لا تكون مشروعة إلا إذا كانت دفاعًا عن

---

(٢) Laretius (Oiogens) : Lives of Eminent philosophers, Trans by : R.D.Hick, in 2 vols. Harvard university, press, Cambridge, 1972, vol2, p.233.

[٧٢]) ولد فى مدينة هيرابوليس من أعمال فيرجينيا بآسيا الصغرى فى عام ٥٠م وتوفى عام ١٣٨م وكانت أمه جارية ، لذا فقد تم اتخاذه عبدًا منذ ولادته إلى أن أعتقه سيده " أبافروديتوس" واتخذه نيرون وزيرًا له.
د. طارق عبد المحسن ، الفلسفة العملية عند أبكتيتوس الرواقى ، المصرية اللبنانية للنشر والتوزيع ، القاهرة ، سنة ٢٠١٥م ، صـ٧.

(١) Epictetus : Discourses, op.cit.p.138.

الوطن ، والشهداء الذين يسقطون لأجل هذا ا لغرض بلغوا منزلة رفيعة من النبل والتقديس وسمو النفوس ، فأرواحهم خالدة ترفل فى النعيم ، أما غير ذلك فإن الحرب وكافة مظاهر الإعتداء على الإنسان مرفوض لدى هوميروس ، إنه يقر السلام ، السلام الذى لا عنف فيه ، السلام الخارجى مع المجتمع والدول ، والسلام الداخلى بين الإنسان وذاته ، وهذه الأفكار تركت عظيم الأثر على كل من أتى بعد هوميروس سواء كان فيلسوفاً أو أديبًا ، لنطمئن فى النهاية إلى القول بأن هوميروس تناول فلسفيًا جدلية الحرب والسلام عبر بوابة الأدب ، وهى البوابة شبه الوحيدة المتاحة آنذاك.

تعقيب : مما سبق دراسته يمكننا استخلاص أهم النتائج التالية :

١ -هناك صلة وثيقة بين الأدب والفلسفة ، خاصة فى زمن هوميروس حيث كان الأدب هو البوابة المشروعة والمتاحة آنذاك للتفلسف ، حيث لم يكن معروفًا هناك أى مذاهب فلسفية أو أنساق متكاملة فلسفيًا.

٢ -الحرب ممقوتة عقلاً وفطرة لدى هوميروس ومن ثمَّ فقد أجهد نفسه فى الوقوف ضدها عبر الأساطير الرئيسة والقصص الفرعية ليبرهن على رفضه التام لها أو لأى أسباب تؤدى إليها.

٣ -جدلية الحرب والسلام المعهودة فى الفكر الفلسفى أن الحرب وسيلة للسلام كانت حاضرة برمتها فى ثوب أدبى رفيع فى تراث هوميروس.

٤ -جزاء الشهداء لأجل الوطن تقديس الوطن والخلود فى هيدز (الدار الآخرة) لأنهم قدموا أغلى ما يملكون فداءًا لأوطانهم.

٥ -هدف السلام عند هوميروس إقرار الطمأنينة على مستوى الفرد والدولة ... على مستوى الفرد لينعم بالسلام مع افراد مجتمعه ، ومع نفسه ، وعلى مستوى الدولة لتنعم فى علاقات دافئة محوطة بالسلام.

٦ -لا يمكن إنكار أثر جدلية الحرب والسلام عند هوميروس على كلٍ من الأدب والفلسفة اللاحقين عليه ، إذ سرت تلك الأفكار برمتها فى التراث اليونانى بأسره فى دعوة أفلاطون وآرسطو إلى السلام الخارجى ، ودعوة الرواقيين إلى السلا م الداخلى ، وهذا ما يؤكد روعة التأثير الهوميرى.

المصادر والمراجع

١–هوميروس : الإلياذة ، ترجمة دريني خشبة ، دار التنوير ، القاهرة ، سنة ٢٠١٤م.

٢–هوميروس : الأوذيسة ، ترجمة دريني خشبة ، دار الكتب الأهلية ، القاهرة ، سنة ١٩٤٥م.

3- Aristophanes : People of kharinya, Trans in to Enghish by B.B. Junet, Duckworth, London, 1995.

4- Aristophanes : The peace, trans by : R. Levin, Duckworth, London, 1995.

5- Epictetus : Discourses, trans by : E. carter, published by : J.M.Dent & sons LTD, London, 1910.

6- Laretius (Diogens) : lives of Eminent philosophers, trans by : R.D. Hicks, in 2vols, Harvard University press, Cambridge, 1972.

ثانيـــــــــــــــــًا : المراجع

أ- المراجع العربية:

١- آرسطو : السياسة ، تعريب د. أحمد لطفى السيد ، الهيئة العامة للكتاب ، القاهرة ، سنة ١٩٤٧م.

٢- الأهوانى (د.أحمد فؤاد) : فجر الفلسفة اليونانية قبل سقراط ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، سنة ٢٠٠٢م.

٣- المعجم الوجيز : الطبعة الخاصة بوزارة التربية والتعليم المصرية ، القاهرة ، سنة ٢٠٠٤م.

٤- أفلاطون : محاورة الجمهورية ، ترجمة د.فؤاد زكريا ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، سنة ١٩٨٦م.

٥- أفلاطون : محاورة فايدروس ، ترجمة د. أميرة حلمى مطر ، دار الثقافة ، القاهرة ، د.ت.

٦- أفلاطون : محاورة القوانين ، ترجمة محمد حسن ظاظا ، الهيئة المصرية العامة للكتاب القاهرة ، سنة ١٩٨٦م.

٧- بيرنز(دليل) : المثل السياسية ، ترجمة لويس اسكندر ، مؤسسة كل العرب ، القاهرة ، سنة ١٩٦٤م.

٨- بورا (س.م) : التجربة اليونانية ، ترجمة د. أحمد سلامة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، سنة ١٩٨٩م.

٩- بورا (س.م) : الأدب اليونانى القديم ، ترجم محمد على زيد ، أحمد سلامة محمد ، مراجعة د. محمد صقر خفاجة ، دار سعد مصر ، القاهرة ، د.ت.

١٠- خفاجة(د.محمد) وعلى (د.عبد اللطيف) : أساطير اليونان ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، سنة ١٩٥٩م.

١١- شعراوى (د.عبد المعطى) : هوميروس شاعر الإلياذة والأوذيسة ، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر ، القاهرة ، سنة ١٩٧١م.

١٢- شعراوى : أساطير إغريقية ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، سنة ١٩٨٢م.

١٣- عبد المحسن (د.طارق) : الفلسفة العملية عند أبكتيتوس الرواقى ، المصرية اللبنانية للنشر والتوزيع ، القاهرة ، سنة ٢٠١٥م.

١٤- موتسوبولوس (إيفاجيليوس) : من الأسطورة إلى المنطق ، بدايات الفلسفة اليونانية وبنيتها ، ترجمة ودراسة د. هدى الخولى ، دار الثقافة العربية ، القاهرة ، سنة ٢٠٠٣م.

١٥- هيراقليطس : جدل الحب والحرب ، ترجمة د. مجاهد عبد المنعم مجاهد ، دار الثقافة للطباعة والنشر ، القاهرة ،سنة ١٩٨٠م.

ب- المراجع الأجنبية:

16- Cook (A.B) : Zeus, A study of Ancient Religion, Cambridge, vol 1,1914.

17- Cox (G.W) : An Introduction to Mytheology and Folklore, London, 1881.

18- Genest (E) : Muths of Ancient Greece and Rome, Burke Books, London, 1963.

19- Gomperz(th) : Greek Thinkers A History of Ancient Philosophy, 4 vols, trans by: G.G.Berry, John Murray, London, 1944.

20- Guthrie (w.k.c): A History of Greek philosophy, vol II, Cambridge University press, Cambridge, 1999.

21- Hamilton (E) : Mythology Timeless Tales of Gods and Heroes, New york, 1959.

22- Jovons (F.B) : Introduction to the History of Religion, London 2006.

23- Sinclair (T.A) : A History of Greek Political Thought, Routledge & kegan paul, LTD, London,1967.

24- Toynbee (A) : Greek Historical Thought, mentor Book, London, 1996.



مع تحيات دار الفراعنة للطباعة والنشر والتوزيع

رئيس مجلس الادارة

إكـــــرام عـــيد

المشرف العام

دكتور محمد ممدوح

نائب المدير

حـــبـــيـــبـــة ولـــيد

مراجعة لغوية

دكتور نهلة إبراهيم حجازى

تصميم الغلاف إكرام عيد